

اهداءات ٢٠٠٢

الشاعر / عبد العليم القباني

الإسكندرية

أجمل ما كتب شاعر الجندول



مهرجان القراءة للجميع ٩٦
مكتبة الأسرة
برعاية السيدة سوزان مبارك
(روائع الأدب العربي)

الجهات المشتركة:	أجمل ما كتب شاعر الجنود على محمود طه
جمعية الرعاية المتكاملة المركزية	لوحة الغلاف للفنان جمال قطب
وزارة الثقافة	تصميم الغلاف الانجاز الطباعي والفني محمود الهندي
وزارة الإعلام	
وزارة التعليم	
وزارة الحكم المحلي	
المجلس الأعلى للشباب والرياضة	
التنفيذ: هيئة الكتاب	

المشرف العام
د. سمير سرحان

أجمل ما كتب شاعر

الجنـدول

على محمود طه

اختيار وتقديم

د. سمير سرحان د. محمد عناني

على سبيل التقديم . . .

لأن المعرفة أهم من الثروة وأهم من القوة فى عالمنا المعاصر وهى الركيزة الأساسية فى بناء المجتمعات لمواكبة عصر المعلومات.. من هنا كان مهرجان القراءة للجميع دلالة على الرغبة الطموحة فى تنمية عالم القراءة لدى الأسرة المصرية أطفالاً وشباباً ورجالاً ونساءً..

وكان صدور مكتبة الأسرة ضمن مهرجان القراءة للجميع منذ عام ١٩٩٤ إضافة بالغة الأهمية لهذا المهرجان كاضخم مشروع نشر لروائع الأدب العربى من أعمال فكرية وإبداعية وأيضاً تراث الإنسانية الذى شكل مسيرة الحضارة الإنسانية مما يعتبر مواجهة حقيقية للأفكار المدمرة.

هكذا كانت مكتبة الأسرة نافذة مضيئة لشباب هذه الأمة على منافذ الثقافة الحقيقية فى الشرق والغرب وعلى ما أنتجته عبقرية هذه الأمة عبر مسيرتها التنويرية والحضارية..

إن مئات العناوين وملايين النسخ من أهم منابع الفكر والثقافة والإبداع التى تطرحها مكتبة الأسرة فى الأسواق بأسعار رمزية أثبتت التجربة أن الأيدى تتخاطفها وتنتظرها فى منافذ البيع ولدى باعة الصحف لهو مظهر حضارى رائع يشهد للمواطن المصرى بالجدية اللازمة والرغبة الأكيدة فى الإسهام فى ركب الحضارة الإنسانية على أن يأخذ مكانه اللائق بين الأمم فى عالم أصبحت السيادة فيه لمن يملك المعرفة وليس لمن يملك القوة.

د. سمير سرحان

تقديم

لا يكاد على محمود طه يحتاج إلى تقديم ، فالجيل الذى انتمى إليه يآلف شعره الرقيق وحبه للجمال والطبيعة والحرية ، ويكاد يرى فيه مثلاً لكل ما كنا نصبو إليه صغاراً حين نذكر فنون أوربا وطبيعتها الخلابة ، والجيل التالى لنا يعرفه من قصائده التى سمعها من محمد عبد الوهاب مثل الجندول وكليوباترة ، ونحن وهم لا نملك إلا الشجن عندما نسمع قصيدته الأخرى التى يغنيها عبد الوهاب أيضاً «أخى جاوز الظالمون المدى ...» والتى تتصدر هذه المجموعة .

ولن لا يعرفون الكثير عن صائع هذه الدرر البديعة ، نقدم لمحة موجزة عن حياته وشعره ، فالأصل هو النص الشعرى ، وهذا هولب الكتاب . ولد على محمود طه فى المنصورة عام ١٩٠٢ وتعلم أولاً فى الكتاب ثم دخل المدرسة الابتدائية ، وبعد أن نال شهادتها ، وكّد عنده - كما يقول شوقى ضيف (الألب) **العربى المعاصر فى مصر** «شغف بالعلوم التصنيعية ، فرفض الإلتحاق بالمدرسة الثانوية وأثر الإلتحاق بمدرسة الفنون التطبيقية يدرس فيها الهندسة . وفى سنة ١٩٢٤ تخرج حاملاً شهادة تؤهله لمزاولة مهنة هندسة المبانى» .

وقد أقبل على الوظيفة الحكومية لأنها كانت توفر له الوقت الكافى للتأمل والقراءة ، فعمل أولاً موظفاً بسيطاً بهندسة المبانى فى بلدته المنصورة ، وبدأ ينشر قصائده ويلفت الأنظار

إليه ، ولم يبلغ الخامسة والعشرين حتى كان قد تمكن من نشر بعض أشعاره فى جريدة السياسة الأسبوعية ، وساهمت قصائده تلك مع ما كانت الجريدة تنشره فى إذكاء الروح الرومانسية التى كانت تملأ الجو آنذاك ، وسرعان ما أصبح علماً من أعلام مدرسة أبولو التى أرست أسس الرومانسية فى الشعر العربى ، والطريف أنه كان يحقق المثل الأعلى الرومانسى الذى كان يريده أصحاب مدرسة الديوان (العقاد وشكرى والمازنى) وهو الصدق - وتحديداً ما كان العقاد ينعى فقدانه فى شعر شوقي أى عدم إفصاح الشعر عن الشاعر .

فكان على محمود طه فى حياته مثلاً لما يقوله فى شعره ،
وهذه هى شهادة أحمد حسن الزيات :

كان شاباً منضوّر الطلعة ، مسجور العاطفة ، مسحور
المخيلة ، لا يبصر غير الجمال ، ولا ينشد غير الحب ، ولا يطلب
غير اللذة ، ولا يحسب الوجود إلا قصيدة من الغزل السماوى
ينشدها الدهر ويرقص عليها الفلك .

«كان كالفراشة الجميلة الهائمة فى الحقول تحوم على
الزهر، وترف على الماء ، وتخفق على العشب ، وتسقط على
النور ، لا تكاد تعرف لها بغية غير السبوح ، ولا لذة إلا التنقل
. ثم تتبعته بعد ذلك فى أطواره وآثاره ، فإذا الفراشة الهائمة
على أرباض المنصورة تصبح الملاح التائه فى خضم الحياة ،
والأرواح الشاردة فى أفاق الوجود ، والأرواح والأشباح فى
أطباق اللانهاية وإذا الشاعر الناشئ يغدو الشاعر المطلق تارة

بجناح الملك ، وتارة بجناح الشيطان ، يشق الغيب ويقتحم الأثير ، ويصل السماء بالأرض ، ويجمع الملائكة والشياطين بالناس» .

ويجدر بنا أن نشير هنا إلى الدقة العلمية التي تحراها طه حسين عندما يتحدث عن الشاعر فى حديث الأريعاء فهو يتحدث عن شخصية فنية ، بمعنى القناع الذى يلبسه الشاعر فى شعره ويخفى وراءه وجهه الحقيقى ، مهما يكن من شبه بينهما ، فالشعر الذى يقوله الشاعر ليس الشاعر ، ولذلك فطه حسين سباق فى هذا المجال النقدى الحديث .

على أى حال ، ظل على محمود طه يتقلب فى المناصب الحكومية ، فانتقل إلى وظيفة مدير المعرض الخاص بوزارة التجارة ، ثم استقر نهائياً فى القاهرة مديراً لمكتب الوزير ، وبعدها التحق بسكرتارية مجلس النواب ، مما هيا له التنقل فى القاهرة التى كانت ما تزال روضاً أريضاً ، ومنها كان يسافر إلى خارج مصر بانتظام ويتقن عدة لغات أوربية فى سفراته تلك، ويخرج الديوان بعد الديوان ، ولكن الوظيفة الحكومية التى قربته من السياسة تتنكر له فيستعيز عنها بقرض الشعر ، وعندما يعين آخر الأمر وكيلاً لدار الكتب عام ١٩٤٩ ويبدأ فى التفرغ للنظم ، يعاجله القدر المحتوم فيرحل عن الدنيا فى آخر العام (١٩٤٩/١١/١٧) .

والفتاح لشعر هذا الشاعر هو فكرة الفردية الرومانسية والحرية التى لا تتأتى بطبيعة الحال إلا بتوافر الموارد المادية ،

التي تحرر الفرد من الحاجة ولا تشعره بضغط الفاقة ، فقد ولد لأسرة ميسورة ونعم في صباه ورجولته بما يكفى من الموارد للترحال والتنقل ، بحيث لم يكن يستطيع أن يرى سوى الجمال ، وأن يخصص قراءاته فى الآداب الأوربية للمشكلات الشعرية التي شغلت الرومانسيين ، عن الإنسان والوجود والفن وما يرتبط بذلك كله من أعمال للخيال الذي هو سلاح الرومانسية الماضى . وهذا ما يقوله طه حسين :

«إن شخصيته الفنية محببة إلى حقاً ، فيها عناصر تعجبني كل الإعجاب ، وتكاد تفتننى وتستهوئنى ، فيها خفة الروح ، وعذوبة النفس ، وفيها هذه الحيرة العميقة ، الطويلة العريضة ، التي لا حد لها ، كأنها محيط لم يوجد على الأرض . هذه الحيرة التي تصور الشاعر ملاحاً تائهاً حقاً ، والتي تقذفه من شك إلى شك ، ومن وهم إلى وهم ، ومن خيال إلى خيال ، والتي لا تستقر به على حقيقة حتى تزعجه عنها إزعاجاً وتدفعه عنها دفعاً ، وتقذف به إلى حقيقة أخرى لا يكاد يدنو منها ويتبينها بعض الشئ حتى يراها أشد هولاً وأعظم نكراً ، وإذا هو يهرب منها ويجد فى الهرب» .

وتأثير شعراء الغرب فيه أوضح من أن يحتاج إلى برهان ، فهو يترجم قصيدة «إلى قبره» للشاعر الانجليزى شلى ، وقصيدة البحيرة للامارتين ، ويقول طه حسين إنه يذكره «تذكيراً قوياً بموسيه» (حديث الأربعاء - ص ١٤٦) - وإن لم يكن ذلك التأثير مقصوراً عليه ، فجميع أصحاب مدرسة أبولو قد تأثروا بالغرب وبأنواع النظم الغربى .

وسوف يدرك القارئ لأول وهلة مدى اختلاف شعر على محمود طه عن شعر شاعر مثل شوقي مثلاً ، فشاعرنا هنا من أول من ثاروا على وحدة القافية (بل ووحدة البحر - انظر **فلسفة وخيال**) ناشداً فى ذلك وحدة القصيدة أى الوحدة النفسية التى اقتضته ألا يمزج «أغراض» الشعر بأسلوب شوقي ، ولا أن يسعى لوضع الأبيات التى تشبه الحكم الماثورة ، بل أن يسعى إلى أن تكون كل قصيدة - كما يقول الدكتور هيكل فى **ثورة الألب** (ص ٦٠) بمثابة «فكرة أو صورة أو عاطفة يفيض بها القلب ، فى صيغة متسقة من اللفظ ، تخاطب النفس وتصل إلى أعماقها، من غير حاجة إلى كلفة أو مشقة».

إن إدراك هذا الجهد الذى بذله على محمود طه يفسر لنا كيف وجد المحدثون ، الذين كانوا يبنون بنيانهم على أسس مدرسة أبولو ، يسراً فى صياغة الشعر الجديد ، والانتقال بيسر أكبر إلى وحدة التفعيلة - التى كانت النقلة الطبيعية من حركة التحرر الرومانسى إلى حركة التحرر الحديث فى الأدبين الغربى والعربى جميعاً .

ورغم توقف مجلة أبولو عن الصدور عام ١٩٣٥ فقد استمر على محمود طه يرفع لواءها فى دواوينه المتتالية التى تزامن صدور ستة منها مع سنوات الحرب العالمية الثانية ، دون أن تحس لهذه الحرب أثراً فى شعره ، وإن كنت تسمع أصداً من ينشد للإنسان ويهفو للسلم والحرية ، معلياً قيمة الجمال باعتبارها القيمة الإنسانية العليا (مثل الشاعر

الإنجليزى جون كيتس) وكما يقول الدكتور محمد مندور ، كانت «حاسته الجمالية» هى التى تقيه الابتذال ، حتى حينما يبدو للقارئ أنه يبالغ فى الأوصاف الحسية أو يتحدث عن الخمر (قضايا جديدة فى الأدب الحديث) .

ومن تراث الرومانسية الغربية استقى على محمود طه صورة «الشاعر» التى كان العقاد يعليها من قبل ، فهما فى هذا يتفقان رغم اختلاف مذهبهما الشعرية ، فعلى محمود طه يرى مثل شلى أن الشاعر هو وحده القادر على فهم روح الإنسان ، وأنه وحده القادر على ترجمة هذا الفهم إلى وشائج صلة بين الأرواح ، وإذا كان العقاد ينسب هذه القدرة إلى «الشعور» (مثل وردزورث) فإن شلى هو أيضاً يدين بدين كبير إلى أستاذ الرومانسية الأكبر وردزورث .

وبعد فهذه مختارات قليلة نرجو أن تطفئ غلة الظامئ إلى جمال الشعر العربى الحديث وأن تكون مقدمة لقراءة دواوين الشاعر – ونأمل أن يرى الجيل الجديد فيه ما كنا نراه ، رغم طوفان الشعر الجديد .

د. سمير سرحان

د. محمد عنانى

١ - فلسطين

أخى ، جاوزَ الظَّالِمُونَ المَدَى
فحقُّ الجهادِ ، وحقُّ الفِدا
أنتَرَكَهُمْ يَغْصِبُونَ العُرْبَةَ
مجدَ الأبوةِ والسُّؤددا ؟
وليسوا بِغَيْرِ صليلِ السيوفِ
يُجِيبُونَ صوتاً لنا أو صدى
فجرٌ حَسَامَك من غمده
فليسَ لَهُ ، بَعْدُ ، أن يُغمدا
* * *
أخى ، أيُّها العربيُّ الأبى
أرى اليومَ موعِدَنَا لا الغدا
أخى ، اقبلِ الشرقُ فى أمةٍ
تردُّ الضُّلالَ وتُحيى الهدى
أخى ، إنَّ فى القدسِ اختاً لنا
أعدُّ لها الذَّابِحُونَ المَدَى
صبرنا على غَدْرِهِمْ قَادِرِينَ
وكنا لَهُمْ قَدْرًا مُرَصِّدا
طلَّعْنَا عليهمَ طلوعَ المنونِ
فطاروا هَبَاءً ، وصاروا سُدى

أخى ، قُمْ إِلَى قِبْلَةِ الْمَشْرِقَيْنِ
لنحْمِي الْكَنِيسَةَ وَالْمَسْجِدَ
أخى ، قُمْ إِلَيْهَا نَشُقُّ الْغَمَارَ
دُمًا قَانِيًا وَلِظَى مَرْعَدَا
أخى ، ظَمَنْتُ لِلْقِتَالِ السِّيُوفُ
فَأُورِدُ شَبَابَهَا الدَّمَ الْمُصْعَدَا
أخى ، إِنْ جَرَى فِي ثَرَاهَا دُمِي
وَشَبُّ الضَّرَامُ بِهَا مَوْقِدَا
فَفَتَّشْ عَلَى مَهْجَةٍ حُرَّةٍ
أَبْتُ أَنْ يَمُرَّ عَلَيْهَا الْعِدَا
وَاخُذْ رَايَةَ الْحَقِّ مِنْ قَبْضَةِ
جَلَاهَا الْوَعَى ، وَنَمَاهَا النَّدَى
وَقَبِّلْ شَهِيداً عَلَى أَرْضِهَا
دَعَا بِاسْمِهَا اللَّهَ وَاسْتَشْهَدَا
فَلَسْطِينُ يَفْدِي حِمَاكَ الشَّبَابُ
وَجَلُّ الْفِدَائِي وَالْمُفْتَدَى
فَلَسْطِينُ تَحْمِيكَ مِنَّا الصَّدُورُ
فَأِمَّا الْحَيَاةَ وَإِمَّا الرُّدَى
ه ه ه

٢ - مصر

هَوَى لَكَ فِيهِ كُلُّ رَدَى يُحِبُّ
فَدَيْتُكَ ! هل وراءَ الموتِ حُبُّ ؟
فَدَيْتُكَ مِصْرُ ، كُلُّ فَتَى مَشُوقٌ
إِلَيْكَ ، وَكُلُّ شَيْخٍ فِيكَ صَبٌّ
وَيَحْلُمُ بِالْفِدَى طِفْلٌ فَطِيمٌ
وَكُلُّ رَضِيعَةٍ فِي الْمَهْدِ تَحْبُو
أَرَاكِ وَ أَيْنَمَا وَلَيْتُ وَجْهِي
أَرَى مَهْجَأَ لَوْجْهِكَ تَشْرُئِبُ
وَأَرْوَاحاً عَلَيْكَ مَحْوَمَاتُ
لَهَا فَوْقَ الضُّفَافِ خُطَى وَوُثْبُ
عَلَيْهَا مِنْ دَمِ الْغَادِينَ غَارُ
لَهُ بِيَدَيْكَ تَضْفِيرٌ وَعَضْبُ
حَمَّتْكَ صَدُورُهَا يَوْمَ التَّنَادَى
وَوَقَّتْكَ الْيَالَى وَهِيَ حَرْبُ
إِذَا رَامَتْكَ عَادِيَةٌ وَشَقَّتْ
فَضَائِكَ غِيلَةً وَرَمَاكَ خَطْبُ
دَعَتْ بِالنَّهْرِ فَهُوَ لَظَى وَوَقَّدُ
وَبِالنُّسَمَاتِ فَهِيَ حَصَى وَحَصْبُ

وبالشجرِ المنورِ فهو غيلٌ
وكلُّ غُصُونِهِ ظُفْرٌ وخَلْبٌ
حقائقٌ عن يدِ الإيمانِ ترمى
صواعقَ ومضئها رَجْمٌ وشُهْبٌ
لها في مهجةِ الجبارِ فتكٌ
وفى عينيه إيماضٌ وسكْبٌ
صَنَائِعُ كَالْغَنَائِيَّاتِ يَشْدُو
بها شرقٌ ، ويُلْقِي السَّمْعَ غَرْبٌ



٣ - أغنية الجنود

فى كرنفال فينيسيا

أين من عيني هاتيك المجالى
يا عروس البحر ، يا حلم الخيال
أين عشاقك سمار الليالى
أين من واديك ، يا مهد الجمال
موكب الغيد وعيد الكرنفال
وسرى الجنود فى عرض القنال
بين كأس يتشهى الكرم خمرة
وحبيب يتمنى الكأس ثغرة
التقت عيني به أول مرة
فعرفت الحب من أول نظرة
أين من عيني هاتيك المجالى
يا عروس البحر ، يا حلم الخيال
مر بي مستضحكا فى قرب ساقى
يمزج الراح بأقداح رفاق
قد قصدناه على غير اتفاق
فنظرنا ، وابتسمنا للتلاقى

وهو يستهدي على المَفْرِقِ زهرة
ويُسِّـوِي بِيدِ الْفِتْنَةِ شَعْرَةَ
حينَ مَسَّتْ شَفَتِي أَوَّلُ قَطْرَةَ
خَلَّتْهُ ذُؤَبَ فِي كـَاسِي عِطْرَةَ

أَيْنَ مِنْ عَيْنِي هَاتِيكَ الْمَجَالِي

يا عروسَ البحرِ ، يا حُلْمَ الخيالِ

قلتُ ، والنشوةُ تسرى في لساني :

هاجتِ الذكرى ، فأينَ الهرمانِ ؟

أينَ وادي السُّحْرِ صدَّاحَ المغاني ؟

أينَ ماءُ النيلِ ؟ أينَ الضَّفَّتَانِ ؟

أه ، لو كنتَ معي نختالُ عبْرَةَ
بشِراعٍ تَسْبِـحُ الأنجمُ إثرَهُ
حيثَ يَروى الموجُ في أرخمِ نَبْرَةَ
حُلْمَ ليلٍ من ليالي كليوبترَةَ

أَيْنَ مِنْ عَيْنِي هَاتِيكَ الْمَجَالِي

يا عروسَ البحرِ ، يا حُلْمَ الخيالِ

أيها الملاحُ ، قِفْ بينَ الجسورِ

فتنةَ الدنيا ، وأحلامَ الدهورِ

صَفَّقَ الْمَوْجُ لَوْلَدَانِ وَحُورِ

يُغْرِقُونَ اللَّيْلَ فِي يَنْبُوعِ نَوْرِ

مَا تَرَى الْأَعْيَدَ وَضَاءَ الْأَسِرَّةِ ؟

دَقُّ بِالسَّاقِ وَقَدْ أَسْلَمَ صَدْرُهُ

لِمُحِبٍّ لَفٌّ بِالسَّاعِدِ خَصْرُهُ ؟

لَيْتَ هَذَا اللَّيْلَ لَا يُطْلَعُ فَجْرُهُ !

أَيْنَ مِنْ عَيْنِي هَاتِيكَ الْمَجَالِي

يَا عُرُوسَ الْبَحْرِ ، يَا حُلُمَ الْخِيَالِ

رَقَصَ الْجُنْدُولُ كَالنَّجْمِ الْوُضِيِّ

فَاشْدُدْ ، يَا مَلَا حُ ، بِالصَّوْتِ الشَّجِيِّ

وَتَرَنُّمٍ بِالنَّشِيدِ الْوُثْنِيِّ

هَذِهِ اللَّيْلَةُ حُلُمُ الْعَبَقْرِ

شَاعَتِ الْفَرَحَةُ فِيهَا وَالْمَسْرَةُ

وَجَلَا الْحُبُّ عَلَى الْعُشَّاقِ سِرَّهُ

يَمْنَةً مِلْ بِي ، عَلَى الْمَاءِ ، وَيَسْرُهُ

إِنَّ لِلْجُنْدُولِ تَحْتَ اللَّيْلِ سِحْرَهُ

أَيْنَ ، يَا قَيْنِيسِيَا ، تِلْكَ الْمَجَالِي ؟

أَيْنَ عُشَّاقُكَ سُمَارُ اللَّيَالِي ؟

أَيْنَ مِنْ عَيْنِي أَطْيَافُ الْجَمَالِ ؟
مَوْكِبُ الْغَيْدِ وَعِيدُ الْكَرْنَقَالِ ؟
يَا عَرُوسَ الْبَحْرِ ، يَا حُلْمَ الْخَيَالِ !!



٤ - ليالى كليوبتره

كليوبترا ! أى حلم من لياليك الحسان
طاف بالموج فغنى ، وتغنى الشاطئان
وهفا كل فؤاد ، وشدا كل لسان :
هذه فاتنة الدنيا وحسناء الزمان
بُعِثْتُ فى زورقٍ مُسْتَلْهِمٍ من كل فنٍّ
مَرِحَ المجدافِ يخالُ بصوراء تُغْنِي
يا حَبِيبِي ، هذه ليلة حُبِّي
أه لو شاركتني أفراح قلبي !
نبأة كالكأسِ دارت بين عشاقٍ سُكَّارِي
سَبَقَتْ كلَّ جناحٍ فى سماءِ النيلِ طارا
تحملُ الفتنة ، والفرحة ، والوجدَ المثارا
حلوهُ صافية اللحن كاحلام العذارى
حلمٌ عذراء دعاها حبُّها ذات مساءٍ
فتَغَنَّتْ بشراعٍ من خيالِ الشعراءِ
يا حَبِيبِي ، هذه ليلة حُبِّي
أه لو شاركتني أفراح قلبي !

وَتَجَلَّى الزُّورِقُ الصَّاعِدُ نَشْوَانَ يَمِيدُ
يَتَهَدَّاهُ عَلَى الْمَوْجِ نَوَاتِي عَبِيدُ
الْمَجَادِيفُ بِأَيْدِيهِمْ ، هَتَافٌ ، وَنَشِيدُ
وَمُصَلِّونَ لَهُمْ فِي النِّهْرِ مِحْرَابٌ عَتِيدُ
سَحَرَتْهُمْ رَوْعَةُ اللَّيْلِ فَهُمْ خَلَقُوا جَدِيدُ
كُلُّهُمْ رَبٌّ يَغْنَى وَإِلَهُ يَسْتَعِيدُ

يَا حَبِيبِي ، هَذِهِ لَيْلَةُ حُبِّي
أَهْ لَوْ شَارَكْتَنِي أَفْرَاحَ قَلْبِي !

إِصْدَحِي ، أَيْتَهَا الْأَرْوَاحُ ، بِاللَّحْنِ الْبَدِيعِ
إِمْرَحِي ، يَا رَاقِصَاتُ الضُّوءِ ، بِالْمَوْجِ الْخَلِيعِ
قَبِّلِي ، تَحْتَ شِرَاعِي ، حُلْمَ الْفَنِّ الرَّفِيعِ
زُورِقًا بَيْنَ ضَفَافِ النَّيْلِ فِي لَيْلِ الرَّبِيعِ
رَنُّ حَتَّتِهِ مَوْجَةً تَلْعَبُ فِي ضَوْءِ النُّجُومِ
وَتَنَادِي بِشِعَاعِ رَاقِصٍ فَوْقَ الْغَيُومِ

يَا حَبِيبِي ، هَذِهِ لَيْلَةُ حُبِّي
أَهْ لَوْ شَارَكْتَنِي أَفْرَاحَ قَلْبِي !

لَيْلَانَا خَمْرٌ وَأَشْوَاقٌ تُغْنِي حَوْلَنَا
وَشِرَاعٌ سَابِغٌ فِي النُّورِ يَرْعَى ظِلَّنَا

كَانَ فِي اللَّيْلِ سُكَارَى ، وَأَفَاقُوا قِبَلَنَا
 لَيْتَهُمْ قَدْ عَرَفُوا الْحُبَّ فَبَاتُوا مَقْلَنًا
 كُلُّمَا غَرَّدَ كَأْسٌ شَرَبُوا الْخُمْرَةَ لَحْنًا
 يَا حَبِيبِي ، كُلُّ مَا فِي اللَّيْلِ رَوْحٌ يَتَغَنَّى
 هَاتِ كَأْسِي ، إِنَّهَا لَيْلَةٌ حُبِّي
 أَهْ لَوْ شَارَكْتَنِي أَفْرَاحَ قَلْبِي !
 يَا ضِفَافَ النَّيْلِ بِاللَّهِ وَيَا خُضْرَ الرِّوَابِي
 هَلْ رَأَيْتُنَّ عَلَى النَّهْرِ فَتًى غَضُّ الْإِهَابِ
 أَسْمَرَ الْجَبْهَةِ كَالْخُمْرَةِ فِي النُّورِ الْمَذَابِ
 سَابِحًا فِي زَوْجَرٍ مِنْ صُنْعِ أَحْلَامِ الشَّبَابِ ؟
 إِنْ يَكُنْ مَرٌّ وَحِيًّا مِنْ بَعِيدٍ أَوْ قَرِيبٍ
 فَصَفِيهِ ، وَأَعِيدِي وَصْفَهُ ، فَهُوَ حَبِيبِي !
 يَا حَبِيبِي ، هَذِهِ لَيْلَةٌ حُبِّي
 أَهْ لَوْ شَارَكْتَنِي أَفْرَاحَ قَلْبِي !
 أَنْتِ يَا مَنْ عُدَّتِ بِالذِّكْرِ وَأَحْلَامِ اللَّيَالِي
 يَا ابْنَةَ النَّهْرِ الَّذِي غَنَّاهُ أَرْيَابُ الْخِيَالِ
 وَتَمَنَّتْ فِيهِ لَوْ تَسْبِيحُ رَبَّاتِ الْجَمَالِ
 مَوْجَةُ الشَّادِي عَشِيقُ النُّورِ ، مَعْبُودُ الظَّلَالِ

لَمْ يَزَلْ يَرَوِي ، وَتُصَفَى لِلرَّوَايَاتِ الدَّهْوَرُ
وَالضَّفَافُ الْخَضِرُ سَكْرَى ، وَالسُّنَى كَأْسُ تَدْوَرُ
حُلُمٌ لَمْ تَرَوْهُ لَيْلَةً حُبٌّ
فَاذْكُرِيهِ ، وَاسْمَعِي أَفْرَاحَ قَلْبِي !



٥ - العام الهجرى الجديد

غَنُّ بِالْهَجْرَةِ : عاماً بعدَ عامٍ
وَادْعُ لِلْحَقِّ ، وَبَشِّرْ بِالسَّلَامِ
وَتَرْسُلُ ، يَا قَصِيدَى ، نَغْمًا
وَتَنْقُلُ بَيْنَ مَوْجٍ وَ غَمَامِ
صَوْتُكَ الْحَقُّ ، فَلَا يَأْخُذُكَ مَا
فِي نَوَاحِي الْأَرْضِ مِنْ بَغْيٍ وَ ذَامِ
كُنْ بِشَّيْرَ الْحَبِّ وَالنُّورِ إِلَى
مُهْجٍ كُلَّمَى ، وَأَكْبَادٍ دَوَامِ
هَجَرَتِ أوطَانَهَا وَاغْتَرِبَتْ
فِي مِثَالِي مِنَ الْمَبْدِإِ سَامِ
أَنْفَتِ عَيْشَ الرَّقِيقِ الْمُجْتَبَى
وَأَبَتْ ذُلَّ الضُّمِيرِ الْمُسْتَضَامِ
يَا دُعَاةَ الْحَقِّ : هَذِي مَحْنَةٌ
تُشْعِلُ الرُّوحَ بِمَشَبُوبِ الضَّرَامِ
هَذِهِ حَرْبُ حَيَاةٍ ، أَوْ حِمَامِ
وَصِرَاعُ الْخَيْرِ ، وَالشَّرِّ الْعُقَامِ

خاضها الإسلامُ فرداً ، وهْدَى
بِيراعٍ ، وتحدَّى بحسام
هجرةً كانت إلى الله ، وفي
خطوئها : مَوْلِدُ أَحْدَاثٍ جِسَام
أخطأ الشيطانُ مسراها ، فيا
ضَلَّةَ الشيطانِ في تلك المَواصِي !
أَبَ بالخَيِّبةِ من غَيايتِهِ
وهو فوق الأرضِ ملعونُ المقام
صفحاتُ من صراعٍ خالِدٍ
ضُمَّتْ كُلُّ فُخَارٍ ووسام
لم تُنَحَّ يوماً لجِبَارٍ طَقَى
أو لباغٍ فاتك السَّيفِ عُرَام
بل لداعٍ أعزَلٍ في قَومِهِ
مستباحِ الدِّمِ مهدورِ الذِّمَام
زلزلَ العالمَ من أقطارِهِ
بِقُوَى الرُّوحِ على القَومِ الطُّغَام
وبَنَى أولَ دُنْيَا حُرَّةٍ
بَرِئَتْ من كُلِّ ظَلَمٍ وَأَثَام

تَسَعُّ النَّاسَ عَلَى الْوَانِهِم
لَمْ تَفَرِّقْ بَيْنَ أَرَىَّ وَسَامَى

* * *

حَاطِمَ الْأَصْنَامِ : هَلْ مِنْكَ يَدُ
تَذَرُ الظَّلْمَ صَدِيعاً مِنْ حُطَامِ ؟
لَمْ تُطِقْهَا حَجَراً أَوْ خَشَباً
وَيُطَاقُ الْيَوْمَ أَصْنَامُ الْأَنَامِ !!
وَعَجِيبُ صُنْعُهُمْ فِي زَمَنِ
أَبْصَرَ الْأَعْمَى بِهِ وَالْمَتَّعَامَى !
وَتُرْجَى عَوْدَةُ الْمَجْدِ الَّذِي
أَعْجَزَ الْبَانِي ، وَأَعْيَا الْمَتَّعَامَى
مِنْ بِيوتِ هَاشِمِيَّاتِ الْبَنَى
وَعُرُوشِ أُمَوِيَّاتِ الدَّعَامِ
وَنَتَاجِ مِنْ نُهَى جَبَّارَةٍ
وَتَرَاثِ مِنْ حَضَارَاتِ ضَخَامِ
قُلْ لَهَا ، يَا عَامُ : لَا هُنْتُ ، وَلَا
كُنْتُ إِلَّا مَهْدَ أَحْرَارِ كِرَامِ
ذَاكَ مَجْدٌ لَمْ يَنْلَهُ أَهْلُهُ
بِالْتَمَنَّى ، وَالتَّغْنَى ، وَالْكَلامِ

بل بالآلم ، وصبر وضنى
ودموع ، ودم حر سجام
قل لها : إن الرضى دائرة
واللىالى بين كرى وصدام
فاستعدى لعد إن غداً
نُهزة السباق فى هذا الزحام !
واجمعى أمرك لليوم الذى
يحمل البشرى لعشاق السلام !



٦ - البحيرة

عن الفونس لامارتين

ليتَ شعري أهكذا نحنُ نمضي
في عُبابٍ إلى شواطئ غُمضٍ
ونخوضُ الزمانَ في جُنحِ ليلٍ
أبدى ، يُضنى النفوسَ ويُنضى
وضفافُ الحياةِ ترمقُها العيـ
نُ فبعضُ يمرُّ في إثرِ بعضٍ
دون أن نملكَ الرجوعَ إلى ما
فاتَ منها ، ولا الرسوُ بأرضٍ ؟

* * *

حدّثي القلبَ ، يا بحيرةُ ، مالى
لا أرى « أولفير » فوقَ ضفافِكُ
أوشكَ العامُ أن يمرَّ ، وهذا
موعِدُ للقاءٍ في مُصطافِكُ
صخرةُ العهدِ ! ويكِ ، هأنذا عُدُّ
تُ ، فماذا لديكِ عن أضيافِكِ ؟

عدتُ وحدي أرعى الضفافَ بعينِ
سفكتُ دمعها الليالي السوافِكُ

* * *

كنتِ بالأمسِ تهدرينَ كما أنـ
تِ هديرأ يهزُّ قلبُ السكونِ
وضفافِ أمواجُها يتداعـ
ين على هذه الصخورِ الجونِ
والنسيمُ العليلُ يدفعُ وهنًا
زَيْدَ الموجِ للرُّبى والحبـزونِ
ملقياً رغوها على قَدَمَيْهَا
لَيْنَ المسِّ مستحبَّ الأنينِ

* * *

أثرى تذكـرينَ ليلةَ كنا
منكِ فوقَ الأمواجِ ، بينَ الضفافِ
وسرى زورقُ بنا يتهدى
تحتَ جنحِ الدُّجى وسترِ العفافِ ! ؟
فى سكونِ ، فليسَ نسمعُ فوقَ المـ
وجِ إلا أغانيَ المجدافِ

تتلاقى على الرُّبى والحوافى

بأناشيدٍ موجكِ العزَّافِ ؟ ؟

* * *

وعلى حينِ غرةٍ رنُّ صوتٍ

لم يُعوِّدْ سَمَاعَهُ إِنْسَى

هبطَ الشاطئَ الطروبَ فما يُسم

سُحُفٍ فِيهِ لِلهَاتِفَاتِ دَوَى

وَإِذَا اللَّيْلُ سَاهَمٌ سَكَنَ النُّو

ءُ إِلَيْهِ وَأَنْصَتَ اللَّجَى

يَتَلَقَّى عَنْ نِبَاةٍ الصَّوْتِ نَجْوَى

كَلِمَاتٍ أَلْقَى بِهِنَّ نَجْوَى

* * *

يَا زَمَانًا يَمُرُّ كَالطَّيْرِ مَهْلًا

طَائِرُ أَنْتَ ؟ وَيكَ ، قِفْ طَيْرَانِكَ !

أَهْنَاءَ السَّاعَاتِ تَجْرَى وَتَعْدُو

نَا عَطَاشًا ، فَقِفْ بِنَا جِرْيَانِكَ !

وَيْكَ دَعْنَا نَمْرُحُ بِأَجْمَلِ أَيَا

مِ وَنَلْقَى ، مَنْ بَعْدَ خَوْفٍ ، أَمَانِكَ

وإذا نحن لذة العيش ذقنا
ها ومـررت بنا فـدُرُ دَوْرَانِكَ !

* * *

بيد أن الشقاء قد غمر الأَرْضَ
ضَ وفاضَ الوجودُ بالتاعسينا
كلهم ضارِعٌ إليك يرجيك
فأسرع ! أسرع ! إلى الضارعينا
وافترس مشقيات أيامهم وامـ
ضِ رحي تطحنُ الشقاء طحونا
رحمةً ، فانكِرِ النفوسَ الحزاني
وانس ، يا دهرُ ، أنفَسِ الناعمينا !

* * *

عبثاً أنشدُ البقاءَ لعهدٍ
يَقْلُتُ اليـومَ من يدي ويفرُ
وسويعاتِ غبطةٍ ما أراها
ووشيكاً ما تنقضي وتمرُ
وأنادي يا ليلةَ الوصلِ قـرّى
إن بعد السرى يطيبُ المقرُ

أسفًا للصَّبَا وغرَّ ليالٍ
ليس يُبقى على صباهنَّ فجرٌ

* * *

فلنحبَّ الغداةَ ولنحْيَ حبًّا
ولنكنَّ في الحياةِ بعضاً لبعضٍ
ونسارعُ فنقتفى إثرَ ساعا
تِ فقد تؤذُنُ النوى بالتقضى
إننا في الحياةِ في عُرْضِ بحرٍ
ليس تُلقى المرساةُ فيه بأرضٍ
ما به مرفأٌ يبينُ ولكنَّ
نحن نمضى في لجَّه ، وهو يمضى !

* * *

أكذا أنتَ ، أيها الزَمَنُ الحا
قد ، تفتالُ نشوةَ اللحظاتِ ؟
حيثُ يُزجى لنا السعادةُ أموا
جأ من الحبِّ زاخرُ اللجاتِ ؟
أكذا أنتَ ، ذاهبٌ بليالي الص
فوعنا سريعةَ الخطواتِ ؟

أكذا تنقضى ملاوةُ نعمما

ها كما ينقضى شقاءُ الحياة ؟

* * *

كيف حدثُ : أغالها منك صرفُ

فى أبيدِ الزَّمانِ حيثُ طواها ؟

ويك ، قل لى ، أليسَ نملكُ يوماً

أن نراها ؟ أما تبينُ خطاها ؟

أتراها ولتُ جميعاً ، ولما

تبقى حتى آثارُها ، أتراها ؟

أوذاك الدهرُ الذى افتنَّ فى صو

غ صباها هو الذى قد محاها ؟

* * *

أيُّ هذا الزَّمانُ ، والعدمُ العا

تى ، غريقين فى سكونٍ وصمتٍ

أى عميقَ اللجاتِ : ماذا بآيا

م صباها ؟ ماذا بهنُ صنعتِ ؟

حدثينى ، أما تعيدنينَ ما من

سكراتِ الغرامِ منا اختطفتِ ؟

أَوْ مَا تُطْلِقِينَهَا مِنْ دِيَا جِيدٍ

كَيْفَ ؟ أَمَا تَبْعَثِينَهَا بَعْدَ مَوْتٍ ؟

* * *

أَنْتِ ، يَا هَذِهِ الْبَحِيرَةُ ، مَاذَا

يَكْتُمُ الْمَوْجُ فَيْكِ وَالشَّطَّانُ

أَيُّهَا الْغَابَةُ الظِّلِيلَةُ رُدِّي

أَنْتِ ، يَا مَنْ أَبْقَى عَلَيْهَا الزَّمَانُ

وَهُوَ يَسْطِيعُ أَنْ يُجِدَّكَ حَسَنًا !!

إِحْفَظِي لَا أَصَابُكِ النِّسْيَانُ !!

قَلِّ حَفْطًا أَنْ تَذْكُرِي لَيْلَةً مَرَّةً

تُ وَأَنْتِ الطَّبِيعَةُ الْحَسَنَةُ

* * *

لِيَكُنْ مِنْكَ ، يَا بَحِيرَةُ ، مَا لَجَّ

بِكَ الصَّمْتُ أَوْ جَنُونُ اصْطِخَابِكَ

فِي مِغْنَانِيكِ حَالِيَّاتٍ تَرَاهِي

ضَاكِكَاتٍ عَلَى سَفُوحِ هِضَابِكَ

فِي مَرْوَجِ الصَّنُوبِيرِ الْحَوْثِ تَهْفُو

سَابِغَاتُ الْأَلْيَافِ حَوْلَ شَعَابِكَ

فى نتوءِ الصخورِ ، مشرفةِ الأعنا
قِ ، بيضاً ، تُطلُّ فوقَ عُبَابِكُ

* * *

ولیکنُ فى العُبابِ يهدرُ أمـ
سواجاً على شاطئيك مثلَ الرعودِ
فى انتحابِ الرياحِ تُعول فى الودىـ
انِ إعوَالِ قلبى المفقودِ
فى صدى الجدولِ الموقعِ أنا
تِ حشاهُ بالجنْدِلِ الجلمودِ
فى شذاكِ السرىَّ ينشقُّ منه الـ
قلبُ رِأً فردوسه المفقودِ ! ؟

* * *

ولیکن فى النسیم ما هبُّ سار
یهِ یجوبُ الشطانَ نحوکِ جوباً
فى جبینِ النجمِ اللجینى یلقى
فضةَ الضوءِ فى میاهِکِ ذوباً
ولیکن فى شتیتِ ما تسمعُ الاذ
نُ ، وفيما نراهُ عیناً وقلباً

ليكنْ هاتفٌ منَ الصوتِ يتلو

« قد أحباً وأخلصاً ما أحباً »



٧ - قبر شاعر

رثاء فوزى المعلوف

رَفَّتْ عَلَيْهِ مَوْرَقَاتُ الْغُصُونِ
وَحَقَّقَهُ الْعَشْبُ بِنَوَارِهِ
ذَلِكَ قَبْرٌ لَمْ يُشَدَّهُ الْمَنُونُ
بِلْ شَادَهُ الشَّعْرُ بِأَثَارِهِ
أَقَامَهُ مِنْ لِبْنَاتِ الْفَنُونِ
وَزَانَهُ الْمَجْدُ بِأَحْجَارِهِ
أَلْقَى بِهِ الشَّاعِرُ عِبَاءَ الشَّجُونِ
وَأَوْدَعَ الْقَلْبَ بِأَسْرَارِهِ

* * *

وَجَاوَرَتْهُ نَخْلَةٌ بِأَسْفَقَةٍ
تَجَسَّمُ فِي الْوَادِي إِلَى جَنْبِهِ
كَأَنَّهَا الثَّالِكَةُ الْوَامِقَةُ
تَقْضِي مَدَى الْعُمُرِ إِلَى قَرْبِهِ
تَتَنُّ فِيهَا النِّسْمَةُ الْخَافِقَةُ
كَأَنَّمَا تَخْفِقُ عَنْ قَلْبِهِ

وَتُرْسَلُ الْأَغْنِيَّةُ الشَّائِقَةُ

قِمْرِيَّةٌ ظَلَّتْ عَلَى حَبِّهِ

* * *

وَيُقْبَلُ الْفَجْرُ الرَّقِيقُ الْإِهَابُ

يَحْنُو عَلَى الْقَبْرِ بِأَضْوَائِهِ

كَأَنَّمَا يَنْشُدُ تَحْتَ التُّرَابِ

لَوَلَوْهٗ تُزْرَى بِلَلَّائِهِ

إِسْتَلَّ مِنْهَا الْمَوْتُ ذَاكَ الشَّهَابُ

غَيْرَ شُعَاعٍ ، فِي الدُّجَى ، تَائِهٍ

يَظَلُّ يَهْفُو فَوْقَ تِلْكَ الشُّعَابِ

يَطُوفُ بِالْيَنْبُوعِ مِنْ مَائِهِ

* * *

وَيَذْهَبُ النُّورُ وَيَأْتِي الظُّلَامُ

وَتَبْزَغُ الْأَنْجُمُ فِي نَسَقِهِ

حَيْرَى ، تَحُومُ اللَّيْلَ كَالْمُسْتَهَامِ

أَسْهَرُهُ الثَّائِرُ مِنْ شَوْقِهِ

تَبْحَثُ عَنْ نَجْمٍ بِتِلْكَ الرَّجَامِ

هَوَتْ بِهِ الْأَقْدَارُ عَنْ أَفْقِهِ

أخ لها فى الأرض ودَّ المقامُ
وأثر الغربَ على شرقه

* * *

ويُطلقُ الطيرُ نشيدَ الصباحِ
بنغمَةٍ تصدُرُ عن حُزنه
يَمُدُّ فوقَ القبرِ منه الجناحُ
ويرسلُ المنقارَ فى ركنه
أفضى إلى الراقدِ فيه وباحُ
بأنَّه الملهمُ من فنِّه
فَمِنْ قوافيه استمدَّ النواحُ
ومن أغانيه صدى لحنه

* * *

وحين تمضى نَسَمَاتُ الخريفِ
وتملأُ الأرضُ رياحُ الشتاءِ
ويقبلُ الليلُ الدُّجى المخيفُ
فلا ترى نجماً ينيرُ السماءَ
هناك لا غصنٌ عليه وريفُ
يهفو ، ولا طيرٌ يثيرُ الغناءَ

يظللُ الأرضَ الظلامُ الكثيفُ
كأنما تُمسي بوادي الفناء

* * *

يا شاعراً ما جمعتني به
كواكبُ الليلِ وشمسُ النهارِ
لكنه الشرُّقُ وفي حبه
ينأى بنا الشوقُ وتدنو الديارُ
سكبتَ من شجوكَ في قلبه
ومن مآقيكَ الدموعُ الغزارُ
فـودُّ أنْ لو نِمْتَ في تربه
ليشفيَ النفسَ بهذا الجوارُ

* * *

قد راعني موتك ، يا شاعري
في ميعَةِ العمرِ وفجرِ الشبابِ
وهزني ما فاضَ من خاطري
كانَ ينابيعَ البيانِ العذابُ
ونفثاتُ القلمِ الساحرِ
في جوبِكَ الأفقَ وطى السحابِ

ووقفه بالكوكبِ الحائرِ
رأى بساطَ الريحِ يدنو فهَابُ

* * *

لكنه شعرك لما يزلُ
يُردُّ الكونُ أناشيدهُ
شعرُ كَصُوبِ الغيثِ أنى نزلُ
أرقصَ فى الروضِ أماليدهُ
وعلمَ الطيرَ الهوى والغزلُ
فأسمعَ الزهرَ أغاريدَهُ
وغنَّتِ الريحُ به فى الجبلُ
فحركتُ منه جلاميدَهُ

* * *

يا قبرُ لم تبصرِ عيني ولا
رأتك إلا فى ثنايا الخيالِ
ملأتَ بالروعِ فؤاداً خلا
إلا من الحبِّ ونورِ الجمالِ
أوحيتَ لى سرُّ الردى فأنجلي
عن عيني الشكُّ وليلُ الضلالِ

هَذَا سَتَطْوِي الْقَلْبَ أَيْدَى الْبَلَى
وَيَقْنَصُ النِّجْمَ عِقَابُ اللَّيَالِ

* * *

هَكَذَا تَمْضَى لَيَالَى الْحَيَاةِ
وَالْقَبْرِ مَا زَالَ عَلَى حَالِهِ
دُنْيَا مِنْ الْوَهْمِ وَدَهْرٌ تَرَاهُ
يَغْرُرُ الْقَلْبَ بِأَمْسَالِهِ
يَسْخَرُ مِنْ مَبْتَسِمَاتِ الشِّفَاهِ
وَجَامِدِ الدَّمْعِ وَسَيَّالِهِ
دَهْرٌ عَلَى الْعَالَمِ دَارَتْ رَحَاهُ
فَلَمْ تَدَعْ رَسْمًا لِأَطْلَالِهِ

❦ ❦ ❦

٨ - شاعر مصر

فى رثاء حافظ إبراهيم

دَعَوْتُ خَيَالِي فاستجابتْ خواطري
وحَدَّثَنِي قَلْبِي بِأَنَّكَ زَائِرِي
عَشِيَّةُ أَغْرَى بِي الدُّجَى كُلُّ صَانِحِ
وَكُلُّ صَدَى فِي هَذَاهُ اللَّيْلِ عَابِرِ
أَقُولُ مَنْ السَّارَى ؟ وَأَنْتَ مُقَارِبِي
وَاهْتَفُ بِالنُّجُومِ ، وَأَنْتَ مُجَاوِرِي
أَحْسِكَ مِلءَ الْكَوْنِ رُوحاً وَخَاطِراً
كَأَنَّكَ مَبْعُوثُ اللَّيَالِي الْغَوَابِرِ
وَمِثْلَ لِي سَمْعِي خُطَاكَ ، فَخَلَّتْهَا
صَدَى نَبَأٍ مِنْ عَالَمِ الْغَيْبِ صَادِرِ
سِوَى خَطَرَاتٍ مِنْ بَنَانٍ رَفِيقَةٍ
طَرَقَتْ بِهَا بَابِي فَهَبْتُ سِرَائِرِي
عَرَفْتُكَ ، لَمْ أَسْمَعْ لَصَوْتِكَ نَبَأَةً
وَشِمْتُكَ ، لَمْ يَلْمَحْ مُحْيَاكَ نَاطِرِي
أَرَى طَيْفَ مَعْشُوقٍ ، أَرَى رُوحَ عَاشِقٍ
أَرَى حُلْمَ أَجْيَالٍ ، أَرَى وَجْهَ شَاعِرِ

* * *

إِلَيْكَ ضِيفَ النِّيلِ ، يَا رُوحَ حَافِظٍ ،
فَجَدَّدَ بِهَا عَهْدَ الْأَنْبِيَاءِ الْمُسَامِرِ
وَسَاقَطَ جَنَاحُهَا مِنْ قَوَافِيكَ سَلْسَلًا
رَخِيماً كَأَرْهَامِ النَّدَى الْمُتَنَاقِرِ
سَرَتْ فِيهِ أَرْوَاحُ النَّدَامَى ، وَصَفَّقَتْ
كُؤُوسٌ عَلَى ذِكْرِ الْغَرِيبِ الْمُسَافِرِ
نَجَى اللَّيَالِي الْقَاهِرِيَّاتِ : طُفَّ بِهَا
خَيَالَةٌ ذَكَرَى ، أَوْ عَلَالَةٌ ذَاكِرِ
وَجَزَّ عَالَمَ الْأَشْبَاحِ ، فَالَلِيلُ شَاخِصٌ
إِلَيْكَ ، وَأَضْوَاءُ النُّجُومِ الزُّوَاهِرِ
وَطَالَعَ سَمَاءٌ فِي مَعَارِجِ قُدْسِهَا
مَرَحَتْ بِوُجْدَانٍ مِنَ الشُّعْرِ طَاهِرِ
وَسَلَسَلَتْ مِنْ أُنْدَائِهَا وَشُعَاعِهَا
جَنَى كَرَمَةٍ لَمْ تَحْوِهَا كَفٌّ عَاصِرِ
تَدَفَّقَ بِالْخَمْرِ الْإِلَهَى كَأْسُهَا
فَفَرَّدَ بِالْإِلْهَامِ كُلُّ مُعَاقِرِ
عَلَى النَّيْلِ رُوحَانِيَّةً مِنْ صَفَائِهَا
وَلَأَلَاءُ فَجَرٍ عَنْ سَنَا الْخُلْدِ سَافِرِ

فصافحُ بعينيكِ الديارَ فطالما
مددتَ على آفاقها عينَ طائرٍ
وخذ في ضفافِ النهرِ مسراكَ ، واتبعْ
خطى الوحي في تلكَ الحقولِ النواصرِ
حدائقُ فرعونٍ بدقائقِ نهرِها
وجنتُةُ ذاتِ الجنى والأزاهِرِ
وفى شُعبِ الوادى ، وفوقَ رماله
عصى نبيٍّ ، أو تهاويلُ ساحرِ
صوامعُ رهبانٍ ، محاريبُ سجدٍ ،
هياكلُ أربابٍ ، عروشُ قياصرِ
سرى الشعرُ فى باحاتها روحَ ناسكٍ
وترديدَ أنفاسٍ ، ونجوى ضمائرِ
وهمسَ شِفاهٍ تَشمَلُ الروحُ عندهُ
وتَسبِحُ فى تيهٍ من السَّحرِ غامرِ
هو الشعرُ ، إيقاعُ الحياةِ وشدوُها
وحلمُ صباها فى الربيعِ المبكرِ
وصوتُ بأسرارِ الطبيعةِ ناطقُ
ولكنه روحٌ ، وإبداعُ خاطِرِ

وَوَيْبَةُ ذِهْنٍ ، يَقْنَصُ الْبَرْقَ طَائِرًا
وَيَغْزُو بَرْوَجَ النُّجْمِ غَيْرَ مُحَازِرٍ
فِيَا دُرَّةً لَمْ يَحْوِهَا تَاجٌ قَيْصَرٍ
وَلَا انْتَضَمَتْ إِلَّا مَفَارِقُ شَاعِرٍ
تَأَلَّهَ فِيكَ الْقَلْبُ وَاسْتَكْبَرَ الْحِجَى
عَلَى دَعَاةٍ ، مِنْ تَحْتِهَا رَوْحُ نَائِرٍ
إِذَا اعْتَرَضَ الْجَبَّارُ ضَوْعَكَ شَامِخًا
تَلَقَّيْتَهُ كِبْرًا بِبَسْمَةِ سَاخِرٍ
لَسْتُ حَدِيدَ الْقَيْدِ فَاَنْحَلْ نَظْمُهُ
وَأَطْلَقْتَ أَسْرَى مِنْ بَرَاثِنِ أَسِيرٍ
وَمَا زِدْتِ فِي الْأَحْدَاثِ إِلَّا صِلَابَةً
إِذَا النَّارُ نَالَتْ مِنْ كِرَامِ الْجَوَاهِرِ
يَزِينُ بِكَ الرَّاعِي سَقِيْفَةَ كُوْخِهِ
فَتَخْشَعُ حَيْرَى نِيرَاتِ الْمَقَاصِرِ
أَضَاعُوكِ فِي أَرْضِ الْكَنُوزِ ، وَمَا دَرَوْا
بِأَنَّكَ كَنْزٌ ضَمُّهُ أَعْلَى الذُّخَائِرِ
وَهُنْتُ عَلَى مَهْدِ الْفَنُونِ ، وَطَالَمَا
سَمَوْتَ بِسُلْطَانٍ مِنَ الْفَنِّ قَاهِرٍ

إذا افتقد التاريخُ آثارَ أمةٍ
أشربتِ بما خلّدتِه من مآثرِ

* * *

سَلاماً ، سَلاماً ، شاعرَ النيلِ : لم يزلْ
خيالك يَغشى كلَّ نادٍ وسامرٍ
وشعركَ في الأفواهِ إنشادُ أمةٍ
تغنّتُ بـماضٍ واستعزّتُ بحاضرٍ
وذكرَكَ نجوى البائسينَ ، إذا هفتْ
قلوبٌ ، وحاتِ أدمعٌ في المحاجرِ
يدُلُّ عليك القلبُ أناتُ بائسٍ
ونظرةٌ مخزونٍ ، وإطراقُ سادِرٍ
وما أنتَ إلا رائدٌ من جماعةٍ
توالوا تبيعاً بالنفوسِ الحرائرِ
صَحَّتْ باديَاتُ الشُّرُقِ تحتَ غبارِهِمْ
على شدوٍ أقلامٍ ولعِ بواتِرِ
وفى القِمَمِ الشُّمَاءِ ، مِنْ صَرَخَاتِهِمْ ،
صدى الرعدِ في عَصْفِ الرياحِ التُّوائرِ
يضيئونَ في أفقِ الحياةِ كأنَّهُمْ
على شَطِّها النَّائِي منارةٌ حائرِ

فيا شاعراً غنىً فرقاً لشجوه
جفاءً اللآلى ، واعتسافُ المقاديرِ
لَكَ الدهرُ ، لا ، بل عالمُ الحسِّ والنهى
خميلةٌ شادٍ أخذٍ بالمشاعيرِ
فتمَّ فى ظلالِ الشرقِ ، واهناً بمضجِ
ندىٍّ بأنفاسِ النبينِ عاطِرِ
ووسدٌ ثراه الطُّهرَ جنبك وانتظِمَ
لِداتِكَ فيه ، فهو مهْدُ العباقِرِ



٩ - شوقي

فى رثاء الشاعر احمد شوقي

هَجَرَ الارضَ حِينَ مَلَّ مَقَامَهُ
وطوى العمرَ حَيْرَةً وَسَامَهُ
هَيَّكَلَ مِنْ حَقِيقَةٍ وَخِيَالٍ
مَلَّكَ الْحُبُّ وَالْجَمَالُ زَمَامَهُ
أَلْهَمَ الشَّعْرُ أَصْغَرِيهِ فَرْقًا
فِي فَمِ الدَّهْرِ كَوْنًا وَمُدَامَهُ
سَلَسَبِيلٌ مِنْ حِكْمَةٍ وَبَيَانٍ
فَجَّرَ اللَّهُ مِنْهُمَا إِلْهَامَهُ
تَأَخَذَ الْقَلْبَ هَزَّةً مِنْ تَسَا
قِيهِ ، وَيَنْسَى بِسَحَرِهِ أَلَامَهُ
غَمَرَ الْأَرْضَ رَحْمَةً وَسَلَامًا
وَجَلَا الْكَوْنَ فَتْنَةً وَوَسَامَهُ
مَالِنَا مِسْمَعِ الْوُجُودِ نَشِيدًا
عَلَّمَ الطَّيْرَ لَحْنَهُ وَانْسَجَامَهُ
مَالَهُ وَالزَّمَانَ مَصْنَعٍ إِلَيْهِ
رَدُّ أَوْتَارِهِ وَحَطْمُ جَامَةِ؟

رُوعَ الطيرُ يومَ غابَ عن الأيـ

ك وسالتُ جراحُها الملتامة

ما الذى شاقه إلى عالم الرؤ

ح ؟ أجل تلك روعة المستهامة !

راعها النورُ وهى فى ظلمة الكـ

كونٍ فخفتُ إليه تطوى ظلامه

هى بنتُ السماءِ وهو من

الأرض سليلُ نما الترابُ عظامه

فاهتفوا باسمه فما مات ، لكن

أثرَ اليومِ فى السماءِ مُقامة !

* * *

حدثتني الرياضُ عنه صباحاً

ما لصدأجها جفا أنغامه ؟

وشكا لى النسيمُ أولَ يومٍ

لم يُحمِّله للحبيبِ سلامة

وتسمعتُ للغديرِ يُنادى

ما الذى عاقَ طيره وحيامه ؟

أثراه ترشَّفَ الفجرَ نوراً

أم شفى من ندَى الصباحِ أوامه

ورأيتُ الجمالَ في شُعبِ الوادى
ينادى بطاحه و أكامه
صارخاً يستجيرُ شاعره الشـ
ـادى ، ويدعو لفته رسامة
فتَلَفْتُ باكياً وبِعيني
شَبَحُ تخطرُ المنونُ أمامه
هتفَ القلبُ بالمنادين حولى :
لَقِيَ الصادحُ الطروبُ حِمَامه
فانكروا شدوه بكل صباح
وارقبوا من خياله إمامه
واملاوا الأرضَ والسماة هُتافاً
عَلَّه لم يرَ الصبـاحُ فنامه

* * *

لم يرُعْنِي من جانبِ النيلِ إلا
كرمهُ فوقها ترفُ غَمَامه
تحت ساجى ظلالها زهرة تبـ
ـكى ، وفى قَرعِها تنوحُ حَمَامه
عرفتها عيني ، وما أنكرتها ،
من ظلامٍ و وحشةٍ و جَهَامه

قلتُ يا كَرَمَةَ ابنِ هانئِ سَلاماً
ليسَ للمرءِ في الحياةِ سَلامة
نحنُ ، لو تعلمينَ ، أشباحُ ليلِ
عابرٍ يَنسُخُ الضياءَ ظلامه
والذي تلمحينَ من لَهَبِ الشـ
مسِ غداً يُطفئُ الزمانَ ضرامه
والذي تبصرينَهُ من نجومِ
فلَكُ يرصدُ القضاءَ نظامه
عَبثاً تُنشدُ الحياةَ خلوداً ،
ونرجى الصَّبَا ، ونبغى دوامه
إنما الأرضُ قبرُنا الواسعُ الرحـ
بُ وفي جوفِهِ تطيبُ الإقامة
أودعَ القلبُ فيه ألامه الكـ
بدى ، وألقى ببابه أحلامه
نَسِيَ الناعمونَ فيه صباهمُ
وسلا المغرمُ المشوقُ غرامه
فامسحِ الدمعَ وابسمي للمنايا
إن دنياكِ دمعَةٌ وابتسامة ! !

* * *

أيها المسرحُ الحزينُ عزاءُ
قد فقدتَ الغداةَ أقوى دِعامه
ذهبَ الشاعرُ الذي كنتَ تستو
حي وتستلهمُ الخلودَ كلامه
ولكَ اليومَ همّةٌ في شبابٍ
ملاوا العصرَ قوّةً و همّامة
نزّلوا ساحةً يشيدونَ للمجـ
دٍ وشقُّوا إلى الحياةِ زحامه
فاذكروا نهضةَ البيانِ بأرضٍ
أطلعتُ في سمائها أعلامه
إنها أمةٌ تغارُ على الفنِّ
وترعى عهدَه و ذمامه
لم تزلْ مصرُ كعبةَ الشعرِ في الشر
قٍ ، وفي كفِّها لواءُ الزعامه
إنَّ يوماً يفوتُها السبقُ فيه
لهو يومُ المعادِ يومُ القيامة !!



١٠ - سورية وعيد الجلاء

تحية استقلال سورية

ورثاء صبرى ابو علم

هَنَّا تُ بِاسْمِكَ تَحْتَ الشَّمْسِ أَحْرَاراً
يَنْدَى هَوَاكِ عَلَى هَامَاتِهِمْ غَاراً
دَمَشَقُ ! يَا بِلَدَ الْأَحْرَارِ ، أَيُّ فِتْيٍ
لَمْ يَمْتَشِقْ فِيكَ سَيْفًا أَوْ يَخُضْ نَارًا ؟ !
ذَوْدًا عَنِ الْوَطَنِ الْمَعْبُودِ ، مِنْ دَمِهِ
لِلْمَجْدِ يَبْنِيهِ أَطَامًا وَأَسْوَاراً
زَكَتْ « أُمِّيَّة » فِي أَعْرَاقِهِ وَجَرَتْ
دَمًا يُرَوِّى الثَّرَى أَوْ يَغْسِلُ الْعَارَ
عِيدُ الْجَلَاءِ أَسْمِيهِ وَأَعْرِفُهُ
يَوْمَ تَبَارَكَ أُنْدَاءُ وَأَسْحَارُ
جَلَا عَنِ الشَّرْقِ لَيْلُ الْبَغْيِ حِينَ جَلَا
عَرُوبُهُ فِيكَ تَلْقَى الْأَهْلَ وَالْدَارَ
لَوْلَا مَصَابٌ دَهَى الْوَادِي فَشَبَّ بِهِ
نَارًا ، وَهَاجَ النَّسِيمَ الْعَذْبَ إِعْصَاراً

ودَّوعَ الأمةِ الغلباءِ فى رَجُلٍ
شدَّتْهُ قوساً ، وسلَّتْ منه بئارا
من النوايغِ أعماراً إذا قصرتْ
مدُّ النبوغِ لهم فى الخلدِ أعمارا
أحرارُ مملكةٍ فى الراى ما أثموا
سمَّاهمو الغاصبُ الظلامِ ثوارا
ثاروا على القيدِ حتى انحلُّ ، واقتحموا
على الطواغيتِ حصنَ الظلمِ فانهارا
... لولاهُ كانَ إليكِ البرقُ راحلتى
أطوى به الجوى أفاقاً وأقطاراً
وجئتُ «فيحاء» أزجى الشعرَ مُفتقداً
تحتَ الصفائحِ مقداماً ومغواراً
والمفتدونَ ، شُراً الخلدِ ، قُلْ لهمو
ما ينظمُ المدحُ أحياناً وأشعاراً !



١١ - بطل الريف : عبد الكريم الخطابي

لا السيفُ قرُّ ولا المحاربُ عاداً
وسسيحُ البشيرِ ! بأيُّ سلمٍ نادى ؟
الأرضُ من أجسادٍ من قُتِلوا بها
تَجْنِي العذابَ وتُثَبِّتُ الأحقادا
فاضَ السحابُ لها دماً - مَذْ شَيَّعَتْ
شَمَسَ النهارِ - فخالطتهُ سوادا
رأتِ الحِدادَ به على أحيائها
أُتْرَاهِمُو صَبَّغُوا السماءَ حِدادا !
ودَّ الطُّغاةُ بكلِّ مَطْلَعٍ كوكبٍ
لو أطفأوه وأسقطوه رَمَادا
وتخوَّفُوا وَمَضَ الشَّهابُ إِذَا هَوَى
ويُروِقُ كلُّ غمامةٍ تتهادى
ولو أنَّهم وَصَلُوا السماءَ بعِلْمِهِم
ضَرَبُوا على آفاقها الأَسْدَادا
لولا لوامِعُ من نُهى وَيَصَائِرُ
تَغْزُو كُهُوفاً أو تَوْمُ وهادا

لَمْ يَرِقْ عَقْلٌ أَوْ تَرِقْ سِرِيرَةٌ
وَقَضَى الْوُجُودُ ضَلَالَةً وَفَسَادًا
رَاعَ الطُّغَاةَ شُعَاعُهُ فَتَسَاءَلُوا
مَنْ نَصُّ هَذَا الْكَوْكَبِ الْوَقَادَا ؟
إِنْ تَجْهَلُوا فَسَلُّوا بِهِ أَبَاءَكُمْ
أَيَّامَ شَعْ عَدَالَةٍ وَرِغَادَا
هَلْ أَبْصَرُوا حُرِّيَّةً إِلَّا بِهِ
أَوْ شَيَّدُوا لِحُضَارَةٍ أَوْتَادَا ؟
حَمَلَتْ سَنَاهُ لَهُمْ يَدٌ عَرَبِيَّةٌ
تَبْنِي الشُّعُوبَ وَتَنْسِجُ الْآبَادَا
هِيَ أُمَّةٌ بِالْأَمْسِ شَادَتْ دَوْلَةً
لَا تَعْرِفُ الْعِبْدَانَ وَالْأَسْيَادَا
جُرِّتُمْ عَلَيْهَا ظَالِمِينَ بَعْدَكُمْ
وَعَدِيدِكُمْ تَتَخَايِلُونَ عَتَادَا
وَمَنْعَتُمُوهَا مِنْ مَوَاهِبِ أَرْضِهَا
مَاءٌ بِهِ تَجِدُ الْحَيَاةَ وَزَادَا
فِي الْمَغْرِبِ الْأَقْصَى فَتَى مِنْ نُورِهَا
قَدَحَتْ بِهِ كَفُّ السَّمَاءِ زِنَادَا

سَلَّتْهُ سَيْفًا كِي يَحْرُرَ قَوْمَهُ
وَيُزِيلَ عَنْ أوطَانِهِ اسْتِعْبَادًا
مَا بِالْكُمْ ضِيقُكُمْ بِهِ وَحَشَدْتُكُمْ
مَنْ دُونِهِ الْأَسِيَّافُ وَالْأَجْنَادُ ؟
اشْعَلْتُمْ سَوَاهِلَهَا ثَوْرَةً دَمَوِيَّةً
لَا تَعْرِفُونَ لِنَارِهَا إِخْمَادًا
حَتَّى إِذَا أَوْهَى الْقِتَالُ جِلَادَكُمْ
وَمَضَى أَشَدُّ بِسَالَةً وَجِلَادًا
جِئْتُمْ إِلَيْهِ تَهَادِنُونَ سَيُوفَهُ
وَسَيُوفُهُ لَمْ تَسْكُنِ الْأَغْمَادًا
وَكُتِبَتْكُمْ عَهْدًا - بِحَدِّ سَيُوفِكُمْ -
مَرْقُومَةٌ وَلَمْ يَجِفْ مِدَادًا

* * *

الْأَهْلُ أَهْلُكَ ، يَا أَمِيرُ ، كَمَا تَرَى
وَالْـدَّارُ دَارُكَ قُبَّةٌ وَ عِمَادًا
أَنْتِ نَزَلْتَ بِمَصْرَ أَوْ جَارَاتِهَا
جِئْتِ الْعُرُوبَةَ أُمَةً وَبِلَادًا
مَدَّتْ يَدَيْهَا وَ احْتَوَتْكَ بِصَدْرِهَا
أَمْ يَضُمُّ حَنَانُهَا الْوِلَادًا

ولو استطاعت رَدُّ ما استودَعَتْها
رَدَّتْ عَلَيْكَ الْمَهْدَ وَ الْمِيْلَادَا
وَأَتَتْكَ بِالذِّكْرِ الْخَوَالِدِ طَاقَةً
كَأَجَلُ مَا جَمَعَ الْمَحَبُّ وَهَادَى
مَاذَا لَقِيتَ مِنَ الزُّمَانِ بِصَخْرَةٍ
قَاسَيْتَ فِيهَا غُرْبَةً وَ وَحَادَا ؟
وَبَلَوْتَ مِنْ صَلَفِ الطُّغَاةِ وَعَسْفِهِمْ
فِيهَا اللَّيَالَى وَالسَّنِينَ شِدَادَا ؟
جَعَلُوا الْبَحَارَ ، وَمَتْلُهُنَّ جِبَالَهَا ،
سَدًّا عَلَيْكَ وَأَوْسَعُوكَ بَعَادَا
دَعَهُمْ ! فَأَنْتَ سَخِرْتَ مِنْ أَحْلَامِهِمْ
وَأَطَرْتَهُنَّ مَعَ الرِّيحِ بِدَادَا
عِشْرِينَ عَاماً ، قَدْ حَرَمْتَ عِيونَهُمْ
غُمْضَ الْجَفُونِ ، فَمَا عَرَفْنَ رُقَادَا
يَتَلَفَّتُونَ وَرَاءَ كُلِّ جَزِيرَةٍ
وَيَسْأَلُونَ الْمَوْجَ وَ الْأَطْوَادَا
مِنْ أَىِّ وَادٍ .. مَوْجَةً هَتَفَتْ بِهِ
وَمَضَى ، فَحَمَلَهَا السَّلَامَ ، وَعَادَا

لو أنصفوا قَدَرُوا بطولَةَ فارسٍ
لبلادِهِ بدمِ الحُشاشَةِ جاداً
نادَى بأحرارِ الرجالِ فقربوا
مُهْجاً تموتُ وراءَهُ استشهاده
يدعوا لحقٍّ أو لإنسانيةٍ
تأبى السجونَ وتلْعَنُ الأصفاداً
شيخُ الفوارسِ حَسْبُ عَيْنِكَ أن ترى
هذى الفتوحَ وهذه الأمجاداً
« الرِّيفُ » هَبْ منازلُ وقبائلُ
يدعوا فتاهُ الباسلِ الذُّؤاداً
حَنُّ الحُسامِ لِقَبْضَتَيْكَ ، وَحَمَمْتُ
خَيْلٌ تُقَرِّبُ من يديكَ قِياداً
وعلى الصُّحارى من صدَاكَ ملاحِمُ
تُشْجِي النُّسُورَ وتُطْرِبُ الآساداً
أَوْحَتْ إلى العُربِ الحُدَاءَ ، وَالْهَمْتُ
فُرسانَهُم تحت الوغى الإنشاداً
عبدُ الكريمِ انظُرْ حيالكَ هل ترى .
إلا صراعاً قائماً وجهاداً

الشرقُ أَجْمَعُ لواءٌ واحدٌ
نَظَرُ مَ الصَّفوفِ وهياً القوادا
لم يتركِ السيفُ الجوابَ لسائلٍ
أو يَتَسَّ من مُتَرَقِّبٍ ميعادا
سالتُ حلقُ الهاتفينَ دماً ، وما
هزُّوا لطاغيةِ الشعوبِ وسادا
فصنَّ البيانَ بهِ ، وأنطقُ حَدَّهُ
يَسْمَعُ إِلَيْكَ ، مُكْرَراً ومُعَادَا
كَذَبَتْ موداتُ الشُّفاءِ ولم أَجِدْ
رغمَ العداوةِ كالسيوفِ وِدَادَا



١٢ - الأمسية الحزينة

عند برزخ بين بحيرة المنزلة

وشاطئ البحر المتوسط

جددتِ ذاهبَ أحلامي وليلاتي
فهلّ لديكِ حديثٌ عن صباياتي ؟
يا كعبةً لخيالاتي ، وصومعةً
رتلتُ في ظلّها للحسنِ آياتي
للحُبِّ أولُ أشعارٍ هتفتُ بها ،
والجمالِ بها أولى رسالاتي
عليكِ وادى أحلامي وقفتُ أرى
طيفَ الحوادثِ تمضي بعد مأساةٍ
أوى إلى جنّباتِ الصخرِ منفردا
أبكي لأمسيةٍ مرّت وليلاتِ
قد غيرتنا الليالي بعدها سيرا
وخلفتنا العوادي بعضَ أشقاتِ
تلفّت القلبُ في ليلاءٍ باردةٍ
يبكي لياليك الغرّ المضينّاتِ

وذكرياتٍ من الماضي يُطالعُها
بينَ الحقولِ وشُطآنِ البحيرات

* * *

يا طولَ ما نَفَمْتُ للصُّخْرِ أناتى
وشدُّ ما رجعتُ للموجِ أهاتى
يا قلبُ ، وادى الصَّبَا حالتُ مسارحهُ
وأقفرتُ من صباياهُ الجميلاتِ
فلا الجداولُ تحدوها مسلسلةُ
ولا الخمائلُ تهفو بالنضيراتِ

صَوَّحَنَ من مشرقِ الوادى لمغربهِ
فما بهنُ مُطيفٌ من خيالاتِ
ما فى حياتكِ من سلوى تلوذُ بها
لكنهُ الحبُّ ذاكَ القاهرُ العاتى
قد فاجأتكَ غواشيهِ التى سكنتُ
إنَّ الليالىَ ملأى بالفُجاءاتِ

* * *

يا للْبُحيرةِ : من يرتادُ شاطئها
ومن يُسِرُّ إلى الوادى مناجاتى ؟

ومن يعيدُ لنا أطيافَ ليلتها
وما غَنَمْنَا عليها من أويقاتِ
وخلوةٍ في حَفَافِهَا وقد عَبَّتْ
يَدُ الصَّبَا بحواشيها الموشاةِ
يضمُّنا باسِقُ ، في الشَطِّ ، منفردُ
ضمُّ الشَّتَّيْتَيْنِ في علياءِ جناتِ
والقلوبِ أحاديثُ يجاوبُهَا
تناوَحُ الطيرِ في ظلِّ الخميلاتِ

* * *

يا ليلةٌ قد ذهَلْنَا عن كواكبها
في زورقِ بين ضسَفَاتٍ ولجَادِ
يسرى بنا مَوْهِنًا ، والريحُ تدفعُهُ ،
كالنجمِ يسبحُ في علوى هالاتِ
وفي الشواطىءِ للمجدافِ أغنيةُ
يَصُبُّهَا الموجُ في سحرى موجاتِ
ما كانَ أهنأها دنيا ، وأهنأنا

في ليلها الصُّحُورُ ، أوفى فجرها الشاتى

مَرَّتْ خَيَالَاتُ مَاضِيهَا ، وَمَا تَرَكَتُ
سِوَى وَجُوهٍ لِيَالِيهَا الْحَزِينَاتِ
وَمَنْ تَلَهَّفُ أَحْنَائِي وَثَارَتِهَا
يَا لَلْجَوَانِحِ مِنْ وَجْدِي وَثَارَاتِي
يَا صِرْخَةَ الْقَلْبِ ، هَلْ أَسْمَعْتِ مِنْكَ صَدِي
مَنْ ذَا يَرُدُّ الصَّدَى فِي جَوْفِ مَوْمَاةٍ ؟
جَوْبِي مَفَاوِزَ أَيَّامِي فَقَدْ صَفَرْتُ
مِنْ نَبْعِ مَاءٍ ، وَمِنْ أَظْلَالِ وَاحَاتِ
قَضَى ، عَلَى ظَمَأٍ ، قَلْبِي بِهَا وَفَمِي
وَضَلَّتِ الْعَيْنُ فِيهَا إِثْرَ غَايَاتِي
حَتَّى الْعَوَاصِفُ صَمَّتْ عَنْ نِدَائَاتِي
فَمَا تَرَدُّ عَلَى الْأَيَّامِ صِيحَاتِي

* * *

يَا مَنْ قَتَلْتَ شَبَابِي فِي يَفَاعَتِهِ
وَرَحْتَ تَسْخَرُ مِنْ دَمْعِي وَأَنَاتِي
حَرَمْتَ أَيَّامِي الْأُولَى مَفَارِحَهَا
فَمَا نَعَمْتُ بِأَوْطَارِي وَلِذَاتِي
قَدَعُ فَوَادِي مُحْزُونًا يَرْفُ عَلَى
مَاضِي لِيَالِي ، وَانْعَمُ ، أَنْتَ ، بِالْآتِي

دَعْنِي عَلَى صَخْرَةِ الْمَاضِي لَعَلَّ بِهَا
مِنْ الصَّبَابَةِ وَالتَّحْنَانِ مَنَاجَاتِي !



١٣ - إلى الطبيعة المصرية

لَمْ أَنْتِ ، أَيُّهَا الطَّبِيعَةُ ، كَالْحَزِينَةِ فِي بِلَادِي ؟
لَوْلَا أَغَارِيدُ تَرْسُلُ بَيْنَ شَادِيَةٍ وَشَادِي
وَحَيَالُ ثَوَرٍ حَوْلَ سَاقِيهِ يَرَاوِحُ أَوْ يُغَادِي
وَقَطِيعُ ضَائِنٍ فِي الْمَرْجِ الْخَضِرِ يُضْرَبُ بِالْهَوَادِي
لَحَسِبْتُ أَنَّكَ جَنَّةٌ مَهْجُورَةٌ مِنْ عَهْدِ عَادٍ
هَجْرُوكِ ، لَا كُنْتَ الْعَقِيمَ وَأَسْتَ مُنْجِبَةُ الْقَتَادِ
عَجَبًا وَمَاؤُكَ دَافِقٌ وَنَجُومُ أَرْضِكَ فِي اتِّقَادِ
لَوْ كُنْتَ فِي الْغَرْبِ الصَّنَاعِ لَكُنْتَ قِبْلَةً كُلِّ هَادِي
وَأَفْتَنَ فِيكَ الْفَنُّ بِالرُّوحِ الْمُحَرِّكِ لِلْجَمَادِ
وَتَفَجَّرَ الْمَرْحُ الْحَبِيسُ بِكُلِّ نَاحِيَةٍ وَوَادِي
وَلَقَلْتُ أَبْتَدِرُ الشَّدَاةَ غَدَاةً فَجَرٍ أَوْ تَنَادِي
هَذِي الرِّوَانِعُ فِيكَ لَمْ تُخَلِّقْ لَغَيْرِكَ ، يَا بِلَادِي !



١٤ - على النيل

من ابن الشمال إلى ابن الجنوب

أخى ! إن وردت النيلَ قبلَ ورودى
فحى زمامى عنده و عهودى
وقبلُ ترى فيه امتزجنا أبوة
ونسلمة لابن لنا وحفـيد
أخى ! إن أذانَ الفجرِ لبَّيتَ صوته
سمعتَ لتكبيرى ووقع سجودى
وما صغتَ قولاً أو هتفتَ بآية
خلا منطقى من لفظها وقصيدى
أخى ! إن حواك الصبحُ ريانَ مشرقاً
أفقتُ على يومٍ أغرُّ سعيدي
أخى ! إن طواك الليلُ سهمانَ سادرا
نبا فيه جنبى واستحالَ رقودى
أخى ! إن شربتَ الماءَ صفواً فقد زكتُ
خمائِلُ جنَّاتى وطابَ حصيدى
أخى ! إن جفاك النهرُ أو جفَّ نبعه
مشى الموتُ فى زهرى وقصفَ عودى

فكيف تُلَاحِصِنِي وألحَاكَ ؟ إنني
شهيدك في هذا .. وأنتَ شهيدى !
حياتُكَ فى الوادى حياتى ، فإنما
وُجُودُكَ فى هذى الحياةِ وجودى

* * *

أخى ! إنْ نزلتَ الشاطِئَتَيْنِ فسَلُهما
مَتى فَضْلاً ما بيننا بحدودِ ؟
رَمَانى نَذِيرُ السُّوءِ فَيَكُ بِنَبْأَةٍ
فَجَلَّ بالأحزانِ ليلةَ عيْدِ
وغامتْ سَمائى بعدَ صَفْوٍ وأُخْرِستْ
مِزَاهِرُ أحلامى وماتَ نشيدى
غداةَ تَمَنَّى المستبِدُّ فِرَاقنا
على أرضِ آباءِ لَنَا وَجُودِ
وزفْ لَنَا زَيْفَ الأمانِى عِلالةُ
لعلُّ بنا حُبِّ السَّيِّادةِ يُودى
أُخُوَّتُنَا فوقَ الذى مانَ وادَّعى
وما بيننا من سَيِّدٍ ومَسودِ
إذا قالَ «الاستقلالُ» فاحذَرهُ ناصباً
فِخَاخَ «احتلالِ» كالدهورِ أبيدِ

وكم قَبْلُ مَنَانِي ، عَلَى وَفْرِ مَا جَنَى
بِحَرْبَيْنِ ، مِنْ زَرْعِي وَضَرْعِ وَلِيدِي
فَلَمَّا أَتَاهُ النَّصْرُ هَاجَّتْهُ شِرَّةٌ
فَهُمْ بَنَكَرَانِي وَرَامَ جُحُودِي
أَلَا سَلَّةٌ ، مَاذَا بَعْدَ سَبْعِينَ حَجَّةً
أَنْجَزَ مِنْ وَعْدٍ ؟ أَفَكُ قَيُودِي ؟



١٥ - القبرة

عن الشاعر الانجليزى شلى

يا أيها الروحُ يهفو حوله الفرحُ
تحيةً ، أيُّ هذا الصادحُ المرحُ
من أمةِ الطيرِ هذا اللحنُ ما سمعتُ
بمثله الأرضُ ، لا روضُ ولا صدحُ
أنت الذى من سماءِ الروحِ منهلةُ
خمرُ إلهيةٍ لم تحوها قدحُ
يفيضُ قلبك الحاناً يسلسلها
فنٌ طليقٌ من الوجدانِ منسرحُ !

* * *

وعالياً ، عالياً ، لا زلتَ منطلقاً
عن الثرى ، تصلُ الآفاقَ أماداً
مثلَ السحابةِ ، من نارٍ ، مُسْعرةً ،
والبرقِ مؤتلقاً ، والنجمِ وقاداً
يهفو جناحاك فى أعماقِ زُرْقَتِها
وانتَ تُضربُ فى الآفاقِ مُرتاداً

تشدو فتُمنعُ في أجوازها صُعُدا
فإن علوت بها أمعنت إنشادا

* * *

ومائج ذهبى النور قد غرقت
في ذويه الشمس عبر العالم الثانى
توهج السحب البيضاء حمرة
فتستحيل عليها ذات ألوان
أشعة ذات أمواج غدوت بها

تطفو وترسب في لجيها القانى
كأنما أنت - جذلانا تراوحنا -

روح من الطرب العلوى نورانى

* * *

تذوب حولك إما طرت في أفق
غلالة الأرجوان الشاحب الساجى
كنجمة في سماء الليل خافقة
تذوب في فلق الصبح وهاج
يا من تطربنى الحان غبطته
وما رأيت له طيفاً بمعراج

أَلَا أَرَاكَ فَإِنِّي سَامِعٌ نَغْمًا
يَهْفُو إِلَى بِإِطْرَابٍ وَإِبْهَاجٍ

* * *

وصاعداً فِي مِضَاءِ السَّهْمِ أَرْسَلَهُ
قَوْسٌ مِنَ الْكَوْكَبِ الْفَضِيِّ مَنْزَعُهُ
يَنَاقِ فِيخْبُو رَوِيداً وَهَجُّ شُعْلَتِهِ
حَتَّى يُلَاشِي كَأَنَّ الْفَجَرَ يَتَّبِعُهُ
وَنُرْسِلُ الْعَيْنَ نَرْعَاهُ هُنَا وَهُنَا
وَمَا يَبِينُ لَنَا مِنْ أَيْنَ مَطْلَعُهُ
حَتَّى إِذَا عَزَّنَا الْمَرَايَ وَأَجْهَدْنَا
دَلُّ الشَّعُورُ عَلَى أَنَّ ذَاكَ مَوْضِعُهُ !

* * *

هَذِي السَّمَاءُ بِمَوْسِيقَاكَ مَائِجَةً
وَالْأَرْضُ يَغْمُرُهَا مِنْ صَوْتِكَ الطَّرَبُ
وَصَفْحَةُ اللَّيْلِ أَصْفَى مَا يَكُونُ سِوَى
غَمَامَةٍ خَلَقَتْهَا وَحْدَهَا السُّحُبُ
وَقَدْ بَدَا الْقَمَرُ الْوَضَّاحُ يُمْطَرُهَا
إِرْسَالُ ضَوْءٍ عَلَى الْآفَاقِ يَنْسَكِبُ

يرمى السموات سيلً من أشعتها
تكاد تسبح في طوفانه المشهب

* * *

من أنت ، يا من يجوب الليل منفرداً
ولم تقع لي عليه بعد عينان ؟
أى الخليفة قل لي أنت تشبهه
وأيهما منك في أوصافه داني ؟
وهذه السحب أصباغاً مشككة
في رائع من فريد اللون فستان
لا ينزل الغيث منها مثلاً نزلت
شتى أغانيك في سحري الحان !

* * *

كشاعر في سماء الفكر مختبئ
دل الوجود عليه لحنه العالى
الحن أغنية أمسى يرتلها
كمرسى من نشيد الخلد سيال
أسلن بالعالم السالى خوالج
حتى استحال شجوناً قلبه الخالى

بعثن من ألم فيه ومن أمل
ما لم يكن منه في يوم على بال

* * *

كان حورية في ظل شاهقة
من البروج تقضى العيش في خلس
لم يغمض النوم عينيها ولا خمدت
نيران قلب لها في فحمة الغلس
باتت تلطف الاماً تساورها
في عزلة بنشيد ساحر الجرس
تطوف الحان موسيقاه مخدعها
كأنه الحب في إيقاعه السلس

* * *

كان بين الربا التفت خمائلها
فراشة من سبيك التبر جكواء
يا حسن أجنحة منها مذهب
قد رقشتها من الأسحار أنداء
تري السماء صفاء فهي إن خطرت
فالسماء بهذا اللون إغراء

تجلو الأزاهر والأعشاب طلعتها
إذا بدت ولها فيهن إخفاء

* * *

كزهرة الحقل في غيئة سرحتها
لم يملأ النور من أجفانها حدقا
حتى إذا لفحتها الريح هاجرة
زكت وأريت على أملودها ورقا
وأرج الحقل من أنفاسها عبق
يشوق كل جناح نحوها خفقا
تهفو إليها من الأنسام أجنحة
من كل منطلق من عطرها سرقا

* * *

ووقع لحنك في الأسحار أرخم من
وقع الندى فوق أعشاب البساتين
قد نقط الزهر المنصور سلسله
وجاد بالطل أقواف الرياحين
يا من على صوته في الأفق منسجما
تصحو الأزاهر في أفنانها الغين

كلُّ البدائع مهما افتنَّ مبدعُها
لم تَعُدْ لحنَكَ فى صَوِّغِ وتلحينِ

* * *

قل لى : أمن مَلَكُوتِ الرُّوحِ منطلقُ
أم طائرُ أنتَ فى الآفاقِ هيمانُ ؟
أى الخواطرِ من حُسْنٍ ومن بَهَجِ
يُشيعها منك فى الأرواحِ وجدانُ ؟
لم تشرئبُ قلوبُ من أضالعتها
لغيرِ صَوْتِكَ أو تنصبُ أذانُ
حديثُ حبٍّ وخمرٍ باتَ يسكبُهُ
من جانبِ اللهِ أنغامُ والحنانُ !

* * *

من أين تلك الأغانى أنتَ تُرسلُها ؟
من أى مطرِدِ الينبوعِ مُنْسَجِمِ ؟
من أى نائرةِ الأمواجِ زاخرةِ ؟
أى السهولةِ والأغوارِ والقِمَمِ ؟
وأى حبٍّ أليفٍ مِنْكَ أو وطنِ ؟
وأى جهلٍ لما تلقاهُ من ألمِ ؟

* * *

وفى منامك والآفاق حالة
وفى انتباهك والظلماء إصغاء
لابد من نبأ للموت تعرفه
وفى فؤادك عنه اليوم أشياء
لأنت أعمق فكراً فى حقائقه
مما نراه ونحن اليوم أحياء
أو لا ! فكيف انسجام اللحن مطرداً
يُجريه من رائق البللور لآلاء ؟

* * *

إننا نفكر فى ماضٍ بلا أثرٍ
ومقبلٍ من حياةٍ كلها غيبٌ
ومستحلٍ نرجى برق ديمته
وكل ما نرتجيه منه مختلبٌ
وكم لنا ضحكاتٍ غير صادقةٍ
ما لم يشب صفوها التبريح والوصب
وإن أشهى الأغاني فى مسامعنا
ما سال وهو حزين اللحن ، مكتئب !

* * *

هَبَّنَا عَلَى رَغْمِ هَذَا لَيْسَ يَجْمَعُنَا
بِالْحَقْدِ أَوْ كِبَرِيَاءِ النَّفْسِ أَوْ هَاقُ
فَلَا الْقُلُوبُ لَدَى الْبِئْسَاءِ جَازِعَةٌ
وَلَا بَهْنٌ إِذَا رُوعَنَ إِشْفَاقُ
وَأِنَّا قَدْ دَرَجْنَا فِي خَلِيقَتِنَا
بَلَا دَمُوعٍ تَذَرِيهِنَّ أَمَاقُ
فَكَيْفَ كُنَّا إِذَا نَلَقَاكَ فِي فَرْحٍ !
أَوْ يَغْمُرُ الرُّوحَ لَحْنٌ مِنْهُ رَقْرَاقُ ؟

* * *

يَا أَعَذِبَ الطَّيْرِ مُوسِيقَى وَأَرْوَعَهَا
مِنْ كُلِّ رَائِقٍ أَنْفَامٍ وَالْحَانَ
وَيَا أَعَزُّ لَنَا مِنْ كُلِّ مَا جَمَعْتَ
نَفَائِسُ الْكُتُبِ مِنْ دُرَى تَبْيَانِ
يَا مَا أَحَقُّ اقْتِدَارًا مِنْكَ قُدْرَتُهُ
بِشَاعِرٍ لَبِقِ التَّصْوِيرِ فَنَانِ
أَنْتَ الْمَبْرَأُ فِي حُبٍّ وَعَاطِفَةٍ
يَا مَنْ تَعَالَيْتَ عَنْ أَرْضٍ وَإِنْسَانِ

* * *

أما تُعلمني مما يفيضُ به
غناؤك العذبُ تطراباً وتحناناً !
ذاك الحنونُ الذي يُهدي توافقه
إلى من صدحاتِ الخلدِ الحانا !
أستُكلهمني وحيأ يفيضُ به
فمي ، فأملأ قلبَ الكونِ إيماناً !
أشدو فيلقى إلى الكونِ مِسمعهُ
يُصغي إلى كما أصغي لك الأنا !



١٦ - الملاح الثَّائِه

أيها الملاحُ قم واطوِ الشِّراعَا
لِمَ نطوى لُجَّةَ اللَّيْلِ سِرَّاعَا
جَدِّفِ الْآنَ بِنَا فِي هِينَةٍ
وَجْهَةً الشَّاطِئِ سِرّاً وَاتِّبَاعَا
فَغَدّاً ، يَا صَاحِبِي ، تَأْخُذُنَا
مَوْجَةُ الْأَيَّامِ قَذْفاً وَانْدِفَاعَا
عَبَثاً تَقْفُو خُطَى الْمَاضِي الَّذِي
خَلَّتْ أَنْ الْبَحْرَ وَارَاهُ ابْتِلَاعَا
لَمْ يَكُنْ غَيْرَ أَوْيَقَاتِ هَوًى
وَقَفْتُ عَنْ دَوْرَةِ الدَّهْرِ انْقِطَاعَا
فَتَمَهَّلْ ، تَسْعِدِ الرُّوحُ بِمَا
وَهَمْتُ ، أَوْ تَطْرِبِ النَّفْسُ سَمَاعَا
وَدَعِ اللَّيْلَةَ تَمْضِي ، إِنَّهَا
لَمْ تَكُنْ أَوْلَ مَا وَلَّى وَضَاعَا
سَوْفَ يَبْدُو الْفَجْرُ فِي آثَارِهَا
ثُمَّ يَمْضِي ، وَدَوَّالِيكَ تَبَاعَا

هذه الأرضُ انتشتُ مما بها
فَغَفَّتْ تحلُمُ بالخلدِ خداعاً
قد طَوَّأها الليلُ حتى أوشكتُ
من عميقِ الصُّمْتِ فيه أنْ تُراعا
إنَّه الصُّمْتُ الذي في طيِّه
أسفرَ المجهولُ ، والمستورُ ذاعاً
سَمِعَتْ فيه هُتَافَ المنتهى
من وراءِ الغيبِ يُقْرِبُها الوداعُ
أيها الأحياءُ ، غنُّوا واطربوا
وانهبوا من غَفَلاتِ الدهرِ ساعاً

* * *

أه ، ما أروعها من ليلةٍ
فاضَ في أرجائها السحرُ ، وشاعاً
نَفَخَ الحبُّ بهـا من روحه
ورمى عن سرِّها الخافى القناعاً
وجلاً من صُورِ الحُسْنِ لنا
عبيقرياً لَبِقَ الفنَّ صنّاعاً
نفحاتُ رَقَصِ البحرِ لها
وهفاً النجمُ خُفوقاً والتماعاً

وسرى من جانب الأرضِ صدىً
حركَ العُشْبَ حناناً واليراعا
بعثَ الأحلامَ من هجعتها
كسرايا الطيرِ نُقْرَنَ ارتياعا
قُمْنِ بالشاطيءِ من وادى الهوى
بنشيدِ الحبِّ يهتفنَ ابتداعا
أيها الهاجرُ عزُّ الملتقى
وأذبتَ القلبَ صداً وامتناعا
أدركِ التائهَ فى بحرِ الهوى
قَبْلَ أَنْ يَقْتُلَهُ المَوْجُ صِرَاعا
وارعَ فى الدنيا طريداً شاردأ
عنه ضاقتْ رقعةُ الأرضِ اتساعا
ضلُّ فى الليلِ سُرَاهُ ، ومضى
لا يرى فى أفقٍ منه شُعَاعا
يجتوى اللافحَ من حرِّ قَتِهِ
وعذابِ يُشعلُ الرُّوحَ التِياعا
والأسى الخالدَ من ماضٍ عفا
والهوى الثائرَ فى قلبٍ تداعى

فاجعلِ البحرَ أماناً حولهُ

واملا السهلَ سلاماً واليَقَاعَا^(١)

وامسحِ الآنَ على الأُمَمِ

بيدِ الرفقِ التي تمحو الدُمَاعَا^(٢)

وقُدِ الفُكْكَ إلى برِّ الرُّضَى

وانشُرِ الحبَّ على الفُكْكِ شِراعَا



(١) اليقاع : ما ارتفع من الأرض .

(٢) الدُمَاع : كثير الدمع .

١٧ - راكبة الدّراجة

تمهّلى فراشة الصُّباح
أسرّفتِ فسى الغُدوّ والرواح
ماذا ارتيادُ الطُّرقِ الفِساخ
والوثبُ فوقَ العُشبِ والصُّفاخ
بين الرُّوابى الخُضرِ والبَطاخ
بالشُّعرِ المهْدَلِ السِّباح
كالوجِ تحتَ العاصفِ المجتاح
والنهدِ وهو مُطلِّقُ السِّراح
يخفقُ بين الصّدرِ والوشاح
والساقُ خَلْفَ الساقِ فى كفاخ
فى حلقةٍ طاغيةٍ الجمّاح
تدورُ مثلُ البارقِ اللّماخ
تودُّ لو طارتُ مع الرّياح
وحلّقتُ فى كبِدِ الصُّراح
بلطفِ هذا الجسدِ الممّراح
وخِفةٍ فى روحكِ الصّدادح

تَكَادُ تُغْنِي الطَّيْرَ عَنْ جَنَاحٍ !
يا لِهَوَاءٍ عَابَثِ مَفْرَاحٍ
سُكَرَانٌ ، لا مِنْ خَمْرٍ الْأَقْدَاحِ
بَلْ مِنْ صَبَاكِ ، وَالصَّبَا كَالرَّاحِ
يَرْفَعُ طَرْفَ الثُّوبِ فِي مَزَاحِ
لا يَسْتَحْيِ مِنْ لَائِمٍ وَلَا حَيِ



١٨ - على حاجز السفينة

- حنّت على حاجز السفينة
ترنو إلى الرُّغْوِ والزُّيدِ
- كأنها الفتنة السجينة
تمضي بهـا لُجّة الأبدِ
- نبت بها ضجة المكانِ
يزينها الصمت والجلالُ
- والبحرُ من حولها أغاني
والسُّحبُ والريحُ والجبالُ
- ساحرة وحدها تُطلُ
بملتقى النور والظلامِ
- لا تسأم الصمت أو تملُ
تهامس الشهب والغمامِ
- تُصغي إلى الموج والرياحِ
في مغزلٍ شاق كل عينِ
- كأنها نجمة الصباحِ
مُطلّة من سحابتينِ

- مَهْفَافَةٌ الثَّوبِ فِي بَيَاضٍ
يَكَادُ عَنْ رُوحِهَا يَشْفُ
- لَا يَ ذَكَرِي وَأَيُّ مَاضٍ
يَسْرِي بِهَا خَاطِرٌ وَيَهْفُو؟
- وَمَا وَرَاءَ الْعُبابِ تَبْغِي
وَأَيُّ سِرٍّ لَهَا تَبْدِي
- وَأَيُّ لَحْنٍ إِلَيْهِ تُصْغِي
بِرُوحِهَا الْحَالِمِ اسْتَبْدَا؟
- عَجِبْتُ لِلْبَحْرِ مَا عَرَاهُ
يُودُّ لَوْ مَسَّ نَاطِرِيهَا
- يَتَاخَمُ النُّجْمُ فِي عِلَاهُ
وَيَنْثَنِي جَائِيًا لَدِيهَا
- وَهَائِمٌ فِي الْفَضَاءِ صَبَّ
مُجَنِّحٌ لَا يَبِينُ طَيْفَا
- كَمْ وَدُّ لَوْ - مِنْ ضَنْبِي وَحُبِّ
هَوَى عَلَى صَدْرِهَا وَأَغْفَى
- كَمْ بَثُّ مِنْ أَنَّهُ وَ أَلْقَى
بِهَمْسَةٍ ضَائِعٍ صَدَاها

- يَاوِيحَهُ لَا يَحِيرُ نُطْقًا
فَكَيْفَ تَلْقَى لَهُ انْتِيبَاها ؟
- أَنْفَاسُهُ عَنْ جَوَاهُ تُغْنِي
عَلِيلُهُ خَفَقُهَا اضْطِرَابُ
- كَأَهَةٍ فِي قَمَرِ الْمُغْنَى
جَرِيحَةُ لَحْنُهَا الْعَذَابُ
- يَدْنُو ، وَيَرْتَدُّ فِي حَيَاءٍ
يُجَاذِبُ الثُّوبَ وَالشُّعْرَ
- وَكَلِمَا كُلُّ مِنْ عِيَاءٍ
أَثَارُهُ الْوَجْدُ فَاسْتَعْرَ
- يَضُمُّهَا رَاعِشًا ، وَيَمْضِي
مُبَاعِدًا ، وَهُوَ مَا ابْتَعَدُ
- كَأَنَّهُ بِالْحَنِينِ يَقْضَى
لُبَانَةُ الرُّوحِ وَالْجَسَدُ
- وَالْقَمَرُ الطَّالِعُ الصَّغِيرُ
أَزَاخَ عَنْ وَجْهِهِ السُّحَابَا
- وَقَدْ جَرَى ضَوْؤُهُ الْغَرِيرُ
يَسْتَشْرِفُ الْأَفْقَ وَالْعُبَابَا

- المَرِحُ العَابِثُ الطُروبُ
لما دعا باسمه الشروقُ
- نادَتْ به موجةٌ لعوبُ
إلى .. يا أيُّها المشوقُ
- طالَ على المنتأى طُروقي
وطالَ مسراكَ في السَّماءِ
- فَنَمَ على صدرى الخفوقِ
واحطُمَ بما شئتَ من هُنا
- وأنسى وحشةَ الليالى
بقُبلةِ منك ، يا حبيبى
- لكنَّه مرُّ لا يبالى
ولجَّ فى صمته العجيبِ
- مذ أبصرتُه انثنى ومراً
قالت ، ومن دمعها مَسِيلُ :
- لأنتَ مثلُ الرجالِ طُراً
يا أيُّها الخائنُ الجميلُ
- وهبتك الغضُّ من شبابى
سكرانَ من خمِرِ أمسياتى

- فأينَ تمضى على العُبابِ
من صَوْتِ حُبِّي وذِكْرِ رِيّاتِي ؟
- ومن هِيَ الغَادَةُ التي
تنسلُّ من مَخْدَعِي إِلَيْهَا
- أعندها مِثْلُ فِتْنَتِي
أم أننى أَفْتَرِي عَلَيْهَا ؟
- إِنْهَبْ إِلَيْهَا ودَعْ نَمَامِي
فَدَيْتُكَ ، اسَلِّمْ عَلَى التَّنَائِي
- إِنْبَجْ عَلَى صَدْرهَا غِرَامِي
واملا لها الكأسَ من شِقَائِي
- وَالْهُ مَعَ الْغَيْدِ وَالْعِذَارِي
وَعَنُّ بِالكَاسِ وَالْوَتَرُ
- وانقِعْ مِنَ الْخَلَّةِ الْآوَارَا
واقطف من اللَّذَّةِ التُّمَرُ
- أبوكَ ، والطَّبْعُ لَا يَحُولُ ،
وَرِثَتُهُ خَلْقُهُ وَخَلْقَا
- يَا أَيُّهَا الْقَلْبُ الْمَلُولُ
من قَبْضَتِي لَنْ تَنَالَ عِثْقَا

- مُطَارِدُ أَنْتَ بَاشْتِيَاقِي
- مَا جَبَّتْ أَرْضاً وَجَزَّتْ بَحْراً
- مُقَيَّدُ أَنْتَ فِي وَثَاقِي
- وَأِنْ رَأَتْكَ الْعَيَّوْنَ حُرّاً
- لَأَنْتَ مَهْمَا كَبُرَتْ طِفْلي
- يَا ابْنَ الْهَوَى الْبَكْرِ وَالْأَلَمِ
- خُطَاكَ مَسْبُوقَةٌ بِظَلِي
- وَأِنْ تَعَلَّقْتَ بِالْقِمَمِ
- سَأَحْفَظُ الْعَهْدَ مِنْكَ دَوَّماً
- وَأَقْطَعُ الْعَمَرَ فِي انْتِظَارِكَ
- وَسَوْفَ تَأْوِي إِلَيَّ يَوْمَا
- تَبْكِي ، وَأُبْكِي إِلَى جِوَارِكَ
- ضِرَاعَةٌ مِنْ عَذَابِ انْتِي
- مَشَتْ عَلَى الْمَائِجِ الْغُضُوبِ !
- صَغَا لَهَا اللَّيْلُ وَاسْتَحْتَأْ
- سِوَاكَنَ الرِّيحِ لِلْهُبُوبِ
- وَحَدَّقْتُ فِي الدُّجَى نَجُومُ
- غَيْرِي ، تَغَامِزْنَ بِالْخَبَرِ

- وغمغمتُ نجمةً رؤومُ
أما يرى ضوءهُ القمرُ ؟
- أما يرى ذلكَ الصَّبِيَّ
يُؤَلِّبُ البَحَرَ والظلاما ؟
- فإِذَا لَهُ فاتنا خَلِيًّا
يُزَوِّدُ العَشَقَ والغراما !
- كم ليلةٍ بعدَ ألفِ ليلةٍ
لم تَرَوْهَا عنه شَهْرَ زادُ
- وكم عناقٍ لَهُ وَقَبْلَهُ
فِي كَذِبَةٍ لَفْظُهَا مُعَادُ
- فاستوعبَ الضوءُ ملءَ حَسَّةٍ
مِفَاتِنَ الناسِ والطَّبِيعَةِ
- مُرَدِّدًا فِي قَرَارِ نَفْسِهِ
مَا أَبْشَعَ الغِيرَةِ الوَضِيعَةِ ؟
- وارتعشَ الضوءُ ثُمَّ أَضْفَى
مِنْ حَوْلِهِ الصَّفَوَ والسَّكِينَةَ
- وَابْتَسَمَتْ نَفْسُهُ فَأَلْفَى
خَطَاهُ فِي جَانِبِ السَّفِينَةِ

- فِرَاعَةُ ذَٰلِكَ الْجَمَالُ
- جَمَالُهَا الصَّامِتُ الْحَزِينُ
- فَشَاقَّةُ الشَّعْرُ وَالْخِيَالُ
- وَهَزَّةُ الْوَجْدِ وَالْحَنِينُ
- فَقَالَ : يَا رُوعَةَ الْمَسَاءِ
- وَفِتْنَةَ اللَّبِّ وَالْبَصَرِ
- قَدْ أَذِنَ اللَّيْلُ بِانْقِضَائِ
- وَأَنْتِ مَوْصُولَةُ السَّهَرِ
- أَيُّهَا الْمَلَكَةُ الْكَسِيرَةُ
- أَيُّهَا الرَّبَّةُ الْخَجُولَةُ
- أَيُّهَا الْطِفْلَةُ الْكَبِيرَةُ
- لَنْ تَبْرَحِي عَالَمَ الْطِفُولَةِ !
- أَعْلَمُ مَا تَكْتُمِينَ عَنِّي
- وَأَنْ تَلْتُمْتِ بِالْخَفَاءِ
- خَمْسُ لَيَالٍ وَأَنْتِ مِنِّي
- مَتَبَوِّعَةُ الظِّلِّ بِاشْتِهَائِي
- قَدْ كُنْتُ أَزْهَى بِمَا عَرَفْتُ
- مَنْ فِتْنِ الْحَسَنِ وَالِدَالِ

- لَكُنْنى اللَّيْلَةَ اكْتَشَفْتُ
- أرَوَّعَ مَا شِمْتُ مِنْ جَمَالِ
- عَشَقْتُ فَيْكَ الْهَوَى وَ ذُكَّةُ
- فِي زَهْوَةِ الْحَسَنِ وَالشَّبَابِ
- وَذَلِكَ الصُّمْتُ ، مَا أَجَلَّةُ
- فِي عَالَمِ الْغُورِ وَالْكَذَابِ
- هَارِبَةٌ أَنْتِ ، يَا فَتَاتِي
- مِنْ ثَوْرَةِ الشُّكِّ وَالرَّيْبِ
- هَرَيْتِ مِنْ ضَجَّةِ الْحَيَاةِ
- فَكَيْفَ مِنْ نَفْسِكَ الْهَرَبُ ؟ !
- بِهَا أَبَدْنِي أَوَّلًا فَسَلِّي
- وَرَدِّكَ مِنْ شَوْكِهِ الْأَثِيمِ
- لَا الْبُعْدُ يَجْدِي وَ لَا التَّسَلِّي
- كَطَعْنِكَ الْغَدْرُ فِي الصَّمِيمِ
- هَنِيهَةٌ لَمْ يَطُلْ مَدَاهَا
- تَرَوَّعُ بِالصُّمْتُ وَ الشَّحُوبِ
- لَمْ يَبْلُغِ اللَّيْلُ مُنْتَهَاهَا
- إِلَّا عَلَى رَوْعَةِ الْمَغْشِيَةِ

- والتفتَ الضوء للوداع
يهمسُ في رِقَّةٍ و وجدٍ
- يا ربَّه الحسنِ لا تُراعى
فلترعك الكائناتُ بعدي
- يا ليلُ ، يا موجُ ، يا رياحُ
أيتها السُّحبُ و الظلالُ
- أيتها الغُورُ و البطاحُ
أيتها الشهبُ و الجبالُ
- في الجوّ ، في الماءِ ، في الثرى
صوني لها العهدَ والودادُ
- رُدِّي على عينها الكرى
وأبعدي الفكرَ و السهادُ
- وأنقذها منَ الجوى
يا عاشقاتي على الزَّمانِ !
- بكلِّ ما فيك من قُوى
وكلِّ ما في من حنان !



١٩ - إنتظار

طالَ انتظارُكَ في الظلامِ ولم تَزَلْ
عَيْنايَ تَرَقِبُ كُلَّ طَيْفٍ عَابِرِ
وَيَطِيرُ سَمْعِي صَوْبَ كُلِّ مُرِيَّةٍ
فِي الأفقِ تَخْفُقُ عَنْ جَنَاحِي طَائِرِ
وترفُّ رُوحِي فَوْقَ أنفاسِ الرِّبَا
فلعلَّهَا نَفْسُ الحَبِيبِ الزَّائِرِ
وَيَخِفُّ قَلْبِي إِثْرَ كُلِّ شُعَاعَةٍ
فِي اللَّيْلِ تَوْمَضُ عَنْ شَهَابٍ غَائِرِ
فلعلَّ مِنْ لَمَحَاتِ ثَغْرِكَ بَارِقُ
ولعلَّه وَضَحُ الجَبِينِ النَّاظِرِ
لَيْلٌ مِنَ الأوهامِ طَالَ سُهَادُهُ
بَيْنَ الجَوَى المَضْنَى وهَجَسِ الخَاطِرِ
حَتَّى إِذَا هَتَفْتُ بِمَقْدَمِكَ المُنَى
وَأَصْحَتُ أَسْتَرْعِي انتِبَاهَةً حَائِرِ
وَسَرَى النَسِيمُ مِنَ الخَمَائِلِ وَ الرُّبَى
تَشْوَانُ يَعْبُقُ مِنْ شَذَاكَ العَاطِرِ

وترنم الوادى بسلسلِ مائه
وتلت حمائمهُ نشيدَ الصافرِ
وأطلتِ الأزهارُ من ورقاتها
حيرى تعجبُ للربيعِ الباكرِ
وجرى شعاعُ البدرِ حولك راقصاً
طرباً على المرجِ النضيرِ الزاهرِ
وتجلتِ الدنيا كأبهج ما رأت
عينٌ وصورها خيالُ الشاعرِ
ومضتُ تكذِّبني الظنونُ فأنثنى
متسمّعاً دقاتِ قلبي الثائرِ
أقبلتُ بالبسماتِ تملأُ خاطري
سحراً وأملأُ من جمالك ناظري
وأظلنا الصمتُ الرهيبُ ونحنُ في
شكٍ من الدنيا وحلمٍ ساحرِ
حتى إذا حانَ الرحيلُ هتفتَ بي
فوقفتُ واستبقتُ خطاك ناظري
وصرختُ بالليلِ المودعِ باكياً
ويداك تمسكُ بي وأنتَ مغادري

يا ليتنا لم نصنعُ منك وليتها
ما أعجلتك رَحَى الزمانِ الدائرِ

* * *

ولقد أتتْ بعدُ الليالي وانقضتْ
وكأننا في الدهرِ لم نتزاوِرِ
بدُّتُ من عَطْفٍ لَدَيْكَ ورقّةٍ
بحنينٍ مهجورٍ وقسوةٍ هاجرِ
وكأننى ما كنتُ إلْفَكَ فى الصَّبَا
يوماً ولا كنتُ الحياةَ مشاطرى
ونسيتَ أنتَ ، وما نسيتُ ، وإننى
لأعيشُ بالذكرى .. لعُكْ ذاكرى !!

✍ ✍ ✍

٢٠ - البحر والقمر

تَسْأَلُ الْمَاءُ فَيْكِ وَالشُّجْرُ
مَنْ أَيْنَ يَا « كَانُ » هَذِهِ الصُّورُ ؟
الْبَحْرُ وَالْحَوْرُ فِيهِ سَابِحَةٌ
رُؤْيَى بِهِمَا بَاتَ يَحْلُمُ الْقَمَرُ !
أَطْلُ وَالضُّوْءُ رَاقِصٌ غَزْلُ
دَعَاهُ قَلْبٌ ، وَشَاقَّةُ بَصَرُ
يَهْمِسُ فِيمَا يَرَاهُ مِنْ فِتْنِ
أَلِهَةٌ هَوْلَاءِ أَمْ بَشَرُ ؟
يَقْفِزُ مِنْ لَجَّةٍ إِلَى حَجَرٍ
كَأَنَّمَا مَسَّ رَوْحَةُ الضُّجْرُ
مَعْرِيداً لَا يَرِيْمُ سَابِحَةٌ
إِلَّا وَمِنْهُ بَثْفُفَرُهَا أَثَرُ
مِنْ كُلِّ حَوَاءٍ مِثْلَمَا خُلِقَتْ
يَعْجِبُ مِنْهَا الْحَرِيرُ وَالْوَبَرُ
أَلْقَتْهُ عَنْهَا رَقَائِقاً وَنَضَتْ
جَسَماً تَحَامَى نِدَاءُهُ الْقَدَرُ

فِي حَانَةِ مَا عَلَتْ بِهَا عُمْدُ
وَلَا اسْتَوَى فِي بَنَائِهَا حَجَرُ
جُدْرَانِهَا الْمَاءُ ، وَالسَّمَاءُ لَهَا
سَقِيْفَةٌ ، وَالنِّسَائِمُ السُّتُرُ
خِمَارُهَا مُنْشِدٌ ، وَسَامِرُهَا
حُورٌ تَلَوَّى ، وَفَتْيَةٌ سَكُرُوا
لَمْ تَبْقَ فِي الشَّطِّ مِنْهُمْ وَقْدَمُ
قَدْ خَوْضُوا فِي الْعِبَابِ وَانْتَثَرُوا
وَشَيَّعُوا الْعَقْلَ حِينَمَا شَرِبُوا
وَوَدَّعُوا الْقَلْبَ حَيْثُمَا نَظَرُوا
وَالسَّابِحَاتُ الْحَسَانُ حَوْلَهُمْ
كَأَنَّهُنَّ النُّجُومُ وَ الزُّهَرُ
يَزِيدُ سَيِّقَانَهُنَّ مِنْ بَهَجِ
لَوْنٍ عَجِيبُ الرُّوَاءِ مَبْتَكَرُ
يَضِيءُ وَرْدًا وَخَمْرَةً وَسَنَى
ذُوبٌ مِنَ الْمَغْرِبَاتِ مُعْتَصِرُ
تَغَايِرِ الْمَوْجِ إِذْ طَلَعْنَ بِهِ
وَنَارَ مِنْ حَوْلِهِنَّ يَشْتَجِرُ

بِهَنْ يَلْتَفُّ مُرْتَقَى وَيَرَى
يَنْشَقُّ عَنْهِنَّ فِيهِ مُنْطَرُ
مَنْفَتَلَاتِ قَدُودُهُنَّ كَمَا
يَنْفَتِلُ الْغَصْنُ آدَهَ الثَّمَرِ
مُكْوَحَاتٍ بِأَنْزَعٍ عَجَبٍ
تَحْذَرُهُنَّ النَّهْدُ وَ الشَّعْرُ
وَالضَّوُّ فَوْقَ الْخُصُورِ مِنْهُمُ
وَالْمَاءُ تَحْتَ الصُّدُورِ مَسْتَعَرُ
مَا زِلْنَا وَالْبَحْرُ فِي تَوْبُّبِهِ
يُرْغَى كَمَا رَاعَ قَلْبُهُ خَطَرُ
قَدْ جَاوَزَ اللَّيْلُ نِصْفَهُ فَمَتَى
تَوْمٌ فِيهِ أَصْدَاقُهَا الدُّرُ
فَلْيَصْخَبِ الْبَحْرُ وَلِتَتَنِّ بِهِ
رِمَالُهُ ، وَلِيُثْرَثِرِ الشَّجَرُ
وَلِتُعْصِفِ الرِّيحُ فَوْقَ مَائِجِهِ
وَلِيَنْبَجِسَ مِنْ غَمَامِهِ الْمَطَرُ
أَقْسَمَنْ لَا يَنْتَحِينَ شَاطِئُهُ
وَإِنْ تَرَامَى بِمَائِهِ الشَّـرَرُ

حتى يرى وهو فضة ذهب
تمازج الليل فييه والسحر !



٢١ - حلم ليلة

إذا ارتقى البدرُ صفحةَ النهارِ
وضمنا فيه زرقُ يجري
وداعبتُ نسممةً من العطرِ
على مُحسِنك خُصلةَ الشعَرِ
حسوتُها قبله من الجمرِ
جنُّ جنونى لها وما أدري
أى معانى الفتون والسحرِ
تفرُّك أوحى بها إلى ثغرى !
حلمٌ مساءٍ أتاحه دهرى
غرَّدَ فيه الحبيسُ فى صدرى



٢٢ - إعراف

إِنْ أَكُنْ قَدْ شَرِيتُ نَخْبَ كَثِيرَاتٍ وَاتَرَعْتُ بِالْمَدَامَةِ كَأْسِي
وَتَوَلَّعْتُ بِالْحَسَنَانِ لِأَنِّي مُغْرَمٌ بِالْجَمَالِ مِنْ كُلِّ جَنْسٍ
وَتَوَحَّدْتُ فِي الْهَوَى ثُمَّ أَشْرَكْتُ عَلَى حَالَتِي رَجَاءً وَيَأْسَ
وَتَبَذَلْتُ فِي غِرَامِي فَلَمْ أَحْبِسْ عَلَى لَذَّةِ شَيْطَانِينَ رَجْسِي
فَبِرُوحِي أَعِيشُ فِي عَالَمِ الْفَنِّ طَلِيقاً وَالطَّهَرُ يَمْلَأُ حِسِّي
تَائِهاً فِي بَحَارِهِ لَسْتُ أَدْرِي ، لِمَ أَزْجِي الشَّرَاعَ أَوْ فِيمَ أَرْسِي
لِي قَلْبٌ كَزَهْرَةِ الْحَقْلِ بِيضَاءَ نَمَتْهَا السَّمَاءُ مِنْ كُلِّ قَبَسٍ
هُوَ قَيْثَارَتِي عَلَيْهَا أَغْنَى وَعَلَيْهَا وَحْدِي أَغْنَى لِنَفْسِي
لِي إِلَيْهَا فِي خُلُوتِي هَمْسَاتٌ أَنْطَقَتْهَا بِكُلِّ رَائِعٍ جَرَسٍ

* * *

كَمْ شَفَاهُ بِهِنَّ مِنْ قُبُلَاتِي وَهَجَّ النَّارِ فِي عَوَاصِفِ خُرْسٍ
وَوَسَادٍ جَرَتْ بِهِ عِبْرَاتِي ضِحْكُ يَوْمِي مِنْهُ وَإِطْرَاقُ أَمْسِي
أَيُّهَذِي الْخُدُورُ أَنْوَارُكِ الْحَمْرَاءُ كَمْ أَشْعَلَتْ لِيَالِي أَنْسِي
أَحْرَقْتَهُنَّ ! آه ! لَمْ يَبْقَ مِنْهُنَّ سِوَى ذَلِكَ الرُّمَادِ بِرَأْسِي !



٢٣ - أندلسية

حسنكِ النشوانُ والكأسُ الرويَّةُ
جدُّدا عهد شبابي فسكَّرتُ
حلَّمُ أيامٍ وليَّلاتٍ وضُيَّةُ
عَبَّرتُ بي في حياتي وعبرتُ
أنا سكرانُ وفي الكأسِ بقيَّةُ
أى خمرٍ مَنْ جَنَى الخلدَ عصرتُ؟
أه ، هاتى قـرَّبى الكأسِ إليَّ
واسقنيها أنتِ ، يا أندلسيَّةُ

* * *

لا تقولى أىُّ صوتٍ ملَّهم
قَادَ روحينا ، فجئنا ، والتقينا
دَمَكِ المشبوبُ فيه من دمي
روحُ ماضٍ بالهوى يهفو إلينا
أختَ رُوحى ! قَرَّبِيها من فمى
إن شربنا أو طربنا ما علينا

أهـ هاتِيها من الحسنِ جَنِيَّةُ
واسقِيها أنتِ ، يا أندلسِيَّةُ

* * *

كانتِ النظرةُ أولى نظرتينُ
ثُمَّ صارتَ لفظَةً ما بَيْنَنا
والهوى يَعْجَبُ مِنْ مَغْتَرِبَيْنِ
لم يَقُلْ أنتِ ، ولا قالتُ أنا
وَسَبَحْنَا فوقَ وادٍ من لُجَيْنِ
تَحْتَ أفقٍ من غمامٍ وسَنَى
أتملأها سِماتٌ عَرَبِيَّةُ
وأنادى أنتِ ، يا أندلسِيَّةُ

* * *

صَحَّتْ يا للشمسِ في ظلِّ المغيبِ
تلثمُ الزُّهْرَ وأوراقَ الشُّجَرِ
خَلَّتْها بينَ محبٍّ وحبِيبِ
قُبْلَةً عَنَدَ وداعٍ وَ سَفَرِ
فانثنتُ تنظرُ للوادي العجيبِ
صُوراً يَذْهَبْنَ في إثرِ صُورِ

وبسمعى همسة منها شجيرة

وبروحي أنتِ ، يا أندلسية

* * *

ونزلنا عند شط من نضار

وانتحينا خلوة بعد زحام

قلتُ والليلُ بأعقابِ النهارِ :

ألكِ الليلةَ فى لحنٍ و جام؟

ما على مغتربى أهلٍ ودارِ

إن أدارا ها هنا كأس مدام؟

أهاتيهها كخدكِ نقيّة

واسقنيها أنتِ ، يا أندلسية

* * *

واحتوتنا بينَ لحنٍ مطربِ

حانةٌ مثلُ أساطيرِ الزمانِ

صوّرتُ جدرانها بالذهبِ

فتنّ العشق وأهواءَ الحسانِ

قالتِ : اشربْ قلتُ لييكِ اشربى

ملء كأسين فإننا ظامئانِ

خمرة رومية أو بابلية
إسقنيها أنت ، يا أندلسية

* * *

هتفتُ بي ويدها في يدي
تدفعُ الكأسَ بإغراءٍ وعُجبٍ
أيُّ قيثارٍ شجى غردي
خلتُ ينطقُ عن أسرار قلبي !
قلتُ طفلٌ من قديم الأبد
يمزجُ الألحانَ من خمرةٍ وحبٍ
ملء كأسٍ في يديه ذهبية
فاسقنيها أنت ، يا أندلسية

* * *

ومضى الليلُ ونادى بالروح
كلُّ خالٍ وتعايا كلُّ صبٍ
وخبا المصباحُ إلا كأسَ راح
نوره ما بين إيماضٍ ووثبٍ
قد تحدى وهجُهُ ضوءَ الصباح
فبقينا حوله جنباً لجنبٍ

نتساقها على الفجرِ نديّة
وأغنى أنت ، يا أندلسيّة

* * *

يا عروسَ الغربِ ، يا أندلسيّة
بَعْدَتْ داركِ و الصَّيفُ دنا
أينَ أحلامُ اللَّيالي القَمَريّة
والبحيراتُ مُطيفاتُ بنا ؟
أذكرى بينَ الكؤوسِ الذّهبيّة
حانّة ، يا ليتها دامتُ لنا
حين أدعوكِ صباحاً وعشيّة
إسقنيها أنتِ ، يا أندلسيّة

✍ ✍ ✍

٢٤ - فلسفة وخيال

نُهَزَّةٌ أَهَدَتِ الْخَيَالَ إلَيْنَا
وَدَعَتُنَا لِمَوْعِدِ فَالتَّقِينَا
ههنا تحتَ ظِلَّةِ الغَابَةِ الشَّجَرَا
ءِ سِرُّنَا ، وَالْفَجْرُ يَحْنُو عَلَيْنَا
وَقَطَّفْنَا مِنْ زَهْرِهَا ، وَانْثَنَيْنَا
فَجَنَيْنَا تُقَاحَهَا بِيَدِينَا
وَمَرَحْنَا بِهَا سَحَابَةً يَوْمَ
وَيَأْشَجَارَهَا نَقَشْنَا اسْمِينَا

* * *

ههنا يَا ابْنَةَ الْبَحِيرَاتِ وَالْأَوْدِيَةِ الْخُضْرِ وَالرُّبَى وَالْجِبَالِ
صَدَحَ الْحُبُّ بِالنَّشِيدِ فَلَيْنَا نَدَاءَ الْهَوَى وَصَوْتَ الْخَيَالِ
وَتَبِعْنَا عَلَى خُطَى الْفَجْرِ مُوسِيقَى مِنَ الْعُشْبِ وَالنَّدَى وَالظَّلَالِ
وَسَمِعْنَا حَفِيفَ أَجْنَحَةٍ تَهْفُو بِهَا الرِّيحُ مِنْ كَهَوفِ اللَّيَالِي

* * *

قُلْتُ لِي وَالْحَيَاءُ يَصْبِغُ خَدْيِكَ : أَنَارُ تَمْشِي بِهَا أَمْ دِمَاءُ ؟
مِلْهُ عَيْنِيكَ ، يَا فَتَى الشَّرْقِ ، أَحْلَامُ سَكَارَى وَصَبُوءَ وَاشْتِهَاءُ

أنا أهواك تُبدعينَ يقينى من نسيجِ الظنونِ والأوهامِ
أنا أهواك دِفءَ قلبى وينبوعَ اشتهائى ، وشِرتى ، وعُرامى
وحناناً مُجسّداً إن طوانى الليلُ وسدتُ صدرهَ ألامى

* * *

يا للطريقِ الضيقِ الصَّاعدِ بينِ ربوتينِ
كأنما خُطَّ على قَدْرِ خُطىٍ لعاشقينِ
الشُّجراتُ حولهَ كأنها أهدابُ عَيْنِ
كعهدهِ بصاحبِ الدَّارِ ظليلِ الجانبينِ
نبأهُ الصَّدَى المرنُ عن قُدمِ زائرينِ
فى فجرِ يومِ ماطرٍ شقَّ حجابَ ديمتينِ
كأنما ينزلُ منه الوحى حَبَّاتٍ لجينِ
فانتبهتُ خميلةً تهزُّ عُشَّ طائرَيْنِ
وشاعَ فى الغابةِ همسٌ من شفاهِ زهرتينِ
مَنِ الغريبانِ هنا ؟ وما سُرَّاهما ، وأين ؟
ماذا قدومُهُما والغيثُ مدرارُ

لا صاحبُ الدَّارِ طلائعُ ولا الدَّارُ
هذى البحيرةُ وسَتى ، حلُمٌ ليلتها
لما تُفَقُّ منه شطئانٌ وأغوارُ

والأرضُ تحتَ سحابِ الماءِ أخيلةٌ
مما يُصْـوِّرُهُ عُشْبٌ وَنُورٌ
والصبحُ فى مَهْدِهِ الشرقى ما رُفِعَتْ
عن وَرْدِهِ من نسيجِ الغيمِ أَسْتَارُ
حتىّ الجبالُ فما لاحَتْ لها قِمَمُ
ولا شدا لرعاة الضأنِ مِزْمَارُ
فمنّ هما القادمانِ ؟ الريحُ صاغيةٌ
لوقوعِ خطوئهما والأرضُ أبصارُ !
أَعَادَ مَنْ زَمَنَ الأشباحِ سامرُهُ
فالليلُ والغابُ أشباحُ وأسْمَارُ ؟
أمّ البحيرةُ جَنِيَّاتُهَا طلعتْ
فهبُّ مَوْجٍ يناديها وتَيَّارُ !
أمّ راصداً كوكبٍ ضالاً سبيلهما
لما خَبَتْ من نجومِ الليلِ أنوارُ
أمّ صاحباً سَفَرٍ مالَ الضنى بهما
حَوَّثَهُمَا جَنَّةٌ للفنِّ مِعْطَارُ
أمّ عاشقانِ تُرَى ؟ أم زائرانِ هما ؟
وهل مَعَ الفجرِ عُشَّاقُ وَزَوَّارُ ؟ !

وَأَمْسَكَ الْغَيْثُ كَمَا لَوْ كَانَ يُصْغَى مِثْلَنَا
وَأَعْتَنَقَتْ حَتَّى وَرِيقَاتُ الْغُصُونِ حَوْلَنَا
كَأَنَّمَا تَخْشَى النِّسِيمَ أَوْ تَخَافُ الْغُصْنَ
وَانْبَعَثَ اللَّحْنُ الشَّجِيُّ مِنْ هُنَا وَمِنْ هُنَا
يَثُورُ فِي إِيقَاعِهِ قِيْثَارَةٌ وَأَرْغُفَا
كَأَنَّ جِنًّا فِي السَّمَاءِ يُشْعَلُونَ الْفِتْنَا
كَأَنَّ أَرْيَابًا بِهَا يُحَاكِمُونَ الزُّمْنَا
يَا صَاحِبَ الْإِيقَاعِ مَا تَعْرِفُ مَا هَجَّتْ بَنَّا
أَلْفَجْرُ؟ أَمْ ثَارَتْ عَلَى الشَّمْسِ بَوَارِقُ السَّنَى؟
مَا لَكَ قَدْ غَنِيَّتَهُ هَذَا النِّشِيدَ الْحَزْنََا
غَنِيَّتَهُ الْهَلْ هَلْ أَمْ أَنْتَ غَنِيَّتَ لَنَا؟

مَا ذَلِكَ الصَّوْتُ شَاجِيَ اللَّحْنِ سَحَارُ

يُجْرِيهِ نَبْعٌ مِنَ الْإِلَهَامِ زَخَارُ
فِيهِ تَنْفَسُ فَوْقَ السُّحْبِ آلِهَةٌ

وَأَدْمِيُونَ فَوْقَ الْأَرْضِ نُورُ
لَهُ مِذَاقُ ، لَهُ لَوْنُ ، لَهُ أَرْجُ

خَمَرُ أَبَارِيقُهَا شَتَّى وَأَثْمَارُ
أَشْتَفُةٌ وَأُنَادِي كُلُّ نَاحِيَةٍ

مَنْ الْمُغْنَى وَرَاءَ الْغَابِ ، يَا دَارُ؟

السمفونية هذى ! أم صدى حُلْم
كما تجاوبُ خلفَ الليلِ أطيّارُ !
أعادَ للمِعْزَفِ المهجورِ صاحبهُ
فعرّبتُ في يديه منه أوتارُ !
أظَلُّ أُنْصِى وما من شُرْفَةٍ فُتِحَتْ
ولا أزاخَ رِثاجِ البـابِ ديارُ
حتى الحديقةُ لَفَتْ كوخَ حارسها
بصمتها ، فهما نَبَتٌ وأحجارُ
تواضعتُ بجلالِ الفنِّ ما ارتفعتُ
مثلَ البروجِ لها في الجوّ أسوارُ
تُصْغِي إلى هَمَسَاتِ الرِّيحِ شَيْقَةَ
كأنما همساتُ الرِّيحِ أخبارُ !
هنيهةً ، ثمَّ سمعنا هاتفاً مردداً
يقولُ : قُمْ « يا سِجْفَرِيْدُ » ، فالصُّباحُ قد بدا
عرائسُ الوادئِ أَلَمْ تضربْ لهنَّ موعدا ؟
ماذا ! قُمْ انفضِ الكَرى ، ونَمْ كما شئتَ غدا
واخطرْ على الغابةِ منضُورَ الصُّبَا مُخلِّدا
خُذْ سيفك السحريُّ صيغَ جوهراً وعسجدا

قَدْ لَقِيَ التَّنِينُ مِنْهُ فِي الْعَشِيَّةِ الرَّدَى
صَوْتُ مَعَ الرِّيحِ سَرَى .. ، وَلِلْسَكُونِ أَخْلَدَا
فَأَمْسَكَتْ صَاحِبَتِي يَدِي وَحَاطَتْ بِي يَدَا
تَقُولُ : لَمْ أَسْمَعْ كَهَذَا اللَّحْنِ أَوْ هَذَا الصَّدَى
قُلْتُ : وَلَا بِمِثْلِهِ شَادَ عَلَى الدَّهْرِ شَدَا
قَدْ بَاخَ بِالنَّغْمِ الْمَوْعُودِ قِيْثَارُ
فَالْفَجْرُ أَحْلَامُ عُشَّاقٍ وَأَسْرَارُ
صَحَا يُفَصِّلُ رُؤْيَاهُ وَيَعْبُرُهَا
مَوْجٌ عَلَى الشَّاطِئِ الصَّخْرَى ثَرْنَارُ
وَزَحْزَحَتْ وَرَقَ الصَّفْصَافِ حَانِيَةٌ
عَلَى الْبُحَيْرَةِ أَعْشَابُ وَأَزْهَارُ
تُسَائِلُ الْمَاءَ : هَلْ غَنَّتْهُ أَوْ عَبَّرَتْ
شُهْبٌ بِهِ مَسْتَحِمَاتٌ وَأَقْمَارُ ؟
يَا صَاحِبَ اللَّحْنِ إِنَّ الْغَابَ مُصْغِيَةٌ
فَأَيْنَ مِنْ « سِجْفَرِيدَ » السِّيفُ وَالْفَارُ ؟
مَا زَالَ فَوْقَ نَدَى الْعُشْبِ مُضْجَعُهُ
وَمِنْ يَدَيْهِ عَلَى الْأَغْصَانِ أَثَارُ
هَذَا النِّشِيدُ ، نَشِيدُ الْحَبِّ ، تَعْرِفُهُ
لَهُ عَرَائِسُ ، مِثْلُ الْوَرْدِ ، أَبْكَارُ

بَعَثْنَهُنَّ مِنَ الْأَنْغَامِ أَجْنَحَةً
هَزِيزَهُنَّ مَعَ الْأَفْلاكِ دَوَارُ
فِي صَدْرِ قِيْثَارَةٍ أَوْدَعَتْهُ نَغْمًا
مِزَاجُهُ الْمَاءُ وَالْإِعْصَارُ وَالنَّارُ
تُقْضَى بِمَا شِئْتَ مِنْ أَسْرَارِ عَالَمِهَا
فِيهِ لَيَالٍ ، وَأَيَّامٌ ، وَأَقْدَارُ
حَتَّى الطَّبِيعَةُ مِنْ نَاسٍ وَالْهَيَّةُ
تَمَازَجَتْ فَهِيَ الْحَانُ وَأَشْعَارُ !



٢٥ - الله والشاعر

- لا تفزعي ، يا أرضُ ، لا تفرقي
من شَبَّحَ تحتَ الدُّجَى عـابـرِ
مـا هـوَ إلَّا أدميُّ شـقـي
سـمـوهُ بينَ الناسِ بالشـاعـرِ
- حنَّاتِكَ الآنَ ، فلا تُنكرِي
سـبـبـيـلَهُ في ليلِكَ العـابـسِ
ولا تُضـلِّيهِ ، ولا تَنفـري
مِنَ ذلِكَ المـسـتـصـرِخِ البائسِ
- مُدِّي لعينيهِ الرِّحَابَ الفِـسـاحَ
ورقـرقـي الأضـواءَ في جـفـنـهِ
وأـمـسـكـي ، يا أرضُ ، عـصـفَ الرِّيحِ
والرَّاعـيَ المُنـصـبَ في أذنـهِ
- أنتِ لهُ ، يا أرضُ ، أمُّ رُومِ
فـأشـهـدي الكونَ على شِقْوَتِهِ
ورددِي شـكـواهُ بـينَ النـجـومِ
فـهـوَ ابـنُكَ الإنـسـانُ في حـيـرَتِهِ

● ما هو إلا صوتك المرسل
وروحك المسستعبد الرهق
قد أدته الدهر بما يحسم
فجاء عن الأمل ينطق؟

● طغى الأسى الدأوي على صوته
يا للصدي من قلبه الناطق
مضى يبت الدهر في خفته
شكاية الخلق إلى الخالق

● حنانك اللهم ، لا تغضب
أنت الجميل الصفح ، جم الحنان
ما كنت في شكواي بالذنب
ومنك ، يارب ، أخذت الأمان

● ما أنا بالزاري ولا الحاقد
لكنني الشاكي شقاء البشر
أفنيتم عمري في الأسى الخالد
فجئت أستوحيك لطف القدر

● تمردت روعي على هيكلي
وهيكل الجسم كما تعلم

ذاك الضعيفُ الراي لم يفعلِ
إلا بما يوحي إليه الدم !

● يَعرِّقُ حَدُّ السَّيْفِ من لحمه
ويحطمُ الصُّفْوانُ بنيانَهُ
وينخرُ الجُرثومُ في عظمه
ومنه يُنمي القبرُ ديدانَهُ !

● ما هوَ إلا كومةٌ من هباءٍ
تمحقُّه اللمسةُ من غضبتك
فكيف يثني الروحَ عما تشاء ؟
وكيف يقوي ؟ وهَي من قدرتك ؟

● يا للشقيِّ القلبِ كم سامَهُ
توهمُ النعممةِ ما لا يطيقُ
يريدُ أن يُقنَّعَ أوهامَهُ
بأنَّه ذاك الخليُّ الطليقُ

● هانذا أرفعُ الأمامه
إلى سماءِ المنقذِ الأعظمِ
أنا الذي تُرسلُ أنفِسامَهُ
قيثارةُ القلبِ ، ونايُ الفمِ

● من عبراتي صُغتُ هذا المقالُ

ومن لهــــــــــــــــيبِ الروحِ هذا القَلَمُ
ملأتُ منهُ صفحَاتِ الليالِ
فَضُمُّنْتُ كُلَّ مــــــــــــــــعْبَانِي الأَلَمِ

● أنا الذي قَدُسْتُ أَحْزَانُهُ

الشَّاعِرُ البَاكِى شَقَاءَ البَشَرِ
فَجَرَّتْ بِالرَّحْمَةِ الْحَاثَةُ
فَامْلَأْ بِهَا ، ياربُّ ، قَلْبَ الْقَسْدِ !

● ما الشَّاعِرُ الْفَنَّانُ فِي كَوْنِهِ

إِلَّا يَدُ الرَّحْمَةِ مِنْ رِيهِ
مُعْزِي الْعَالَمِ فِي حُزْنِهِ
وَحَامِلُ الأَلَامِ عَنْ قَلْبِهِ

● عِزَاؤُهُ شَعْرٌ بِهِ أَهْزَجُ

فِي نَغَمٍ مَسْتَعِذِبٍ سَاخِرٍ
مَا يَحْزَنُ الْعَالَمُ أَوْ يُيْهِجُ
إِلَّا عَلَى قِيْثَارَةِ الشَّاعِرِ

● ياربُّ ، ما أَشْقَيْتَنِي فِي الْوُجُودِ

إِلَّا بِقَلْبِي : لَيْسَتْ لَهُ لَمْ يَكُنْ

في المثل الأعلى وحبّ الخلود
حملته العبد الذي لم يهن

● خلقت قلباً رقيق الشغاف

يهيم بالنور ويهوى الجمال
حلت له النجوى ولذ الطواف
بمعالم الحسن ودنيا الخيال

● بعثته طيراً خفوق الجناح

على جنان ذات ظل ومساء
أطلقتها فيها قبيل الصباح
وقلت : غن الأرض لحن السماء

● فهم في آفاقها الواسعة

النور يهفو وحوله والندى
مصفقاً للضحوة الساطعة
ومنشداً ما شاء أن ينشدا

● إن جاء صيف أو تجلى ربيع

حياء منه عبقري الغناء
وكم خريف في نشيد بدیع
تظل ترويه ليالي الشتاء

- قِيثَارَةٌ تَصْدُرُ فِي فَنِّهَا
عن عالم السُّحْرِ ودنيا الخفاء
على الصُّدَى الحائر من لحنها
يستيقظُ الفجرُ ويغفو المساء
- مَشَتْ عَلَى الْأَمْوَاجِ أَنْغَامُهَا
وَالْأَرْضُ قَيْدُ النِّشْوَةِ الْمَسْكُورَةِ
كَأَنْتُمَا تَرْقُصُ أَحْلَامُهَا
فِي لَيْلَةٍ شَرْقِيَّةٍ مُقْمَرَةٍ !
- مِنْ قَلْبِهِ أَسْلَمْتَ أَوْتَارَهَا
فَقَلْبُهُ يَخْفُقُ فِي كَفِّهِ
يَشْدُو فَتُمْلِي النَفْسُ أَسْرَارَهَا
عَلَيْهِ ، فَهِيَ اللَّحْنُ مِنْ عَزْفِهِ
- ذَاتَ صَبَاحٍ طَارَ لَا يُمَهِّلُ
وَالْأَرْضُ سَكْرَى مِنْ عَبِيرِ الزَّهْوِ
عَلَى حَصَايَا رَنَمِ الْجِدُولِ
وَفِي رَوَابِيهَا تُغْنِي الطِّيُورُ
- مَا كَانَ يَدْرِي قَبْلَ أَنْ يَنْظُرَا
مَا خَبَأَتْهُ النِّظَرَةُ الْعَاجِلَةُ

مَا أَبْدَعَ الْحَلَمَ الَّذِي صَوَّرَا
لَوْ لَمْ تَشْبَهُ الْيَقْظَةُ الْقَاتِلَةُ !

● مَرُّ يَنْهَرِ دَافِقٍ سَلْسَبِيلُ
تَهْفُو الْقِمَارِي^(١) حَوْلَهُ شَادِيَّةُ
فِي ضَفْتِيهِ بِاسْقَاتِ النُّخِيلِ
تَرْعَى الشَّيْأَهُ تَحْتَهَا ثَاغِيَّةُ

● فَهَاجَتْ النُّظْرَةُ مِمَّا رَأَى
فِي قَلْبِهِ السَّحَرُ وَفِي عَيْنِهِ
الْكُونُ يُبْدُو وَادْعَا هَانِئاً
كَأَنَّهُ الْفَرْدُوسُ فِي أَمْنِهِ

● فَظَلُّ فِي التَّفَكِيرِ مُسْتَفْرِقاً
مِنْ فِتْنَةِ الدُّنْيَا وَمِنْ سَحَرِهَا
مَا كَانَ إِلَّا رِيْثَ مَا حُدِّقَا
حَتَّى جَلَّتْ دُنْيَاهُ عَنْ سَرِّهَا

● رَأَى بَعَيْنِيهِ الَّذِي لَمْ يَرَهُ
الذُّنْبُ ، وَالشَّأَةُ ، وَحَرْبُ الْبَقَاءِ

(١) الْقَمْرِيُّ : ضَرْبٌ مِنَ الْحَمَامِ حَسَنُ الصَّوْتِ .

مَا عَرَفَ الْقَتْلَ وَلَا أَبْصَرَهُ
وَلَا رَأَى مِنْ قَبْلُ لَوْنَ الدَّمِ ———َاءَ !

● مَا هِيَ إِلَّا صَرَخَاتُ الْفَزَعِ
وَصِيحَةُ الْمَقْتُولِ وَالْقَاتِلِ
قَدْ انْقَضَى الْأَمْرُ كَأَنْ لَمْ يَقَعْ
وَضَاعَ صَوْتُ الْحَقِّ فِي الْبَاطِلِ

● وَبَعْدَ سَاعَاتٍ يُؤَلِّي النَّهَارُ
وَيَقْبِلُ اللَّيْلُ ، وَمَا يَعْلَمُ !!
سَيَلْبَثُ السَّرُّ وَرَاءَ السِّتَارِ
وَيَخْتَفِي الشُّلُوفُ وَيُمَحِّي الدَّمُ !!

● يَا أَرْضُ ، وَلَى عَهْدُ نُوْحٍ وَزَالٍ
فَمَنْ لَكَ الْيَوْمَ بِطُوفَانِهِ ؟
مَسْكِينَةٌ تَطْوِينَ بَحْرَ اللَّيَالِ
قَدْ عَزَّكَ الْمَرْسَى بِشَطْئَانِهِ !

● إِلَامَ تَطْوِينَ عُبَابَ السَّنِينِ
شَوْقاً إِلَى فِرْدَوْسِكَ الْخَائِعِ ؟
غُرَّرْتَ ، يَا أَرْضُ بِمَا تَحْلُمِينَ
فَاسْتَيْقِظِي مِنْ حُلْمِكَ الْخَادِعِ !!

● وابقى كما أنتِ على وجهِ
تُمزِقُ الأنواءَ منك الشُّرَاعُ
يقذفُكَ التَّيَّارُ في لُجَّةِ
عشواءٍ لا يَهْدِيكَ فِيهِ شُعَاعُ

● سَلِي الْقِدَاسَاتِ وَأَرْبَابَهَا
ضِرَاعَةً تَصْغَى إِلَيْهَا السَّمَاءُ
أَوْفَاطِرْقِي بِالْبَيْتِ أَبْوَابَهَا
لَعَلَّهَا تَرْفَعُ عَنْكَ الشَّقَاءُ !

● يَا أَيُّهَا الْغَادُونَ وَالرَّائِحُونَ
فِي شُعَبِ الْأَرْضِ وَلَيْلِ الْهَمَمِ
تُمْسُونَ أَشْتَاتاً كَمَا تَصْبِحُونَ
وَالشَّمْسُ حَيْرَى فَوْقَكُمْ وَالنَّجُومُ !

● فابتهلي إِلَه ، واستغفري
وَكُفِّرْ عَنْكَ بِنَارِ الْأَلَمِ
وَقُدِّمِي التَّوْبَةَ ، واستمطري
بِمِنْ يَدَيْهِ عِبْرَاتِ الْوَدَمِ !!



المحتويات

القصيدة	صفحة
١ - فلسطين	١١
٢ - مصر	١٣
٣ - الجندول	١٥
٤ - ليالى كليوبترة	١٩
٥ - العام الهجرى الجديد	٢٣
٦ - البحيرة	٢٧
٧ - قبر شاعر	٣٦
٨ - شاعر مصر	٤٢
٩ - شوقى	٤٨
١٠ - سورية وعيد الجلاء	٥٣
١١ - بطل الريف : عبد الكريم الخطابى	٥٥
١٢ - الأمسية الحزينة	٦١
١٣ - الطبيعة المصرية	٦٦
١٤ - على النيل	٦٧
١٥ - القبرة	٧٠
١٦ - الملاح التائه	٨٠
	١٢٧

القصيدة	صفحة
١٧ - راكبة الدراجة	٨٤
١٨ - على حاجز السفينة	٨٦
١٩ - انتظار	٩٦
٢٠ - البحر والقمر	٩٩
٢١ - حلم ليلة	١٠٣
٢٢ - اعتراف	١٠٤
٢٣ - أندلسية	١٠٥
٢٤ - فلسفة وخيال	١١٠
٢٥ - الله والشاعر	١١٨

رقم الإيداع ٩٦ / ٥٧٤٩

I. S. B. N 977-01-4811-3



مكتبة الأسرة



بمبادرة من
بمساندة

مهرجان القراءة للجميع ١٩٩٦



مطابع

الهيئة المصرية العامة للكتاب

16

Bibliotheca Alexandrina



0268513

To: www.al-mostafa.com